

روائع شكسبير

الليلة الثانية عشرة وترويض الشرسة

الليلة الثانية عشرة
وترويض الشرسة







روائع شكسبير

اللَّيلَةُ الثَّانيةَ عَشرةَ وَترويضُ الشَّرِسَة



تأليـف : وليم شكسبير

إعـداد : إسماعيل أبو العزايم

رسـوم : محمد نبيل عبد العزيز

مكتبة لبنان

بيروت

اللَّيْلَةُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ

وَقَعَتِ الأَحْداثُ التَّالِيَةُ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ في دَوْلَةِ إِلْلِيريا.

كانَ حاكِمُ تِلْكَ الدَّوْلَةِ يُسَمّى أُورسِينُو، ولَمْ يَكُنْ سَعيدًا فَقَدْ كانَ أَمَلُهُ ضَعيفًا في الزَّواجِ بِمَحْبوبَتِهِ. لَقَدْ كانَ يُحِبُّ فَتاةً إِلْليريَّةً جَميلةً من أُسْرةٍ عَريقةٍ تُسَمّى أُولِيفْيا، ولَكِنَّها لَمْ تَكُنْ تُحِبُّهُ، بَلْ إِنَّها رَفَضَتْ أَنْ تُقابِلَهُ أَوْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِ. وَكانَتْ حُجَّتُها أَنَّ أَخاها قَدْ ماتَ مُنْذُ فَتْرةٍ قَصيرةٍ، وَأَنَّ حُزْنَها عَلَيْهِ جَعَلها تَعيشُ في عُزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ في قَصْرِها الكَبيرِ.

كانَ الحُبُّ قَدْ جَعَلَ أُورْسِينُو مُغْرَمًا بالاسْتِماعِ إِلى المُوسيقى الحالِمةِ. وذاتَ مَرَّةٍ قالَ لِمَنْ يَعْزِفُ لَهُ: «إِذا كانَتِ المُوسيقى هي غِذاءَ الحُبِّ فَلْتَسْتَمِرَّ في العَزْفِ، ولْتَعْزِفْ هَذِهِ النَّغْمةَ الحالِمةَ ثانِيَةً، إِنَّها تَخْفُتُ شَيْئًا فَشَيْئًا وتَتَرامَى إِلى أُذُنَيَّ كالنَّغَمِ الجَميلِ الَّذي يَسْري في حَقْلٍ تَتَفَتَّحُ فِيهِ أَزْهارُ البَنَفْسَجِ. ولَكِنْ أَيْنَ الشَّابُّ الَّذي حَمَلَ رِسالَتي إِلى أُولِيفْيا؟»

أَجابَهُ الشَّابُّ قائِلًا: «لَقَدْ عُدْتُ لِتَوِّي؛ وَلَمْ تُقابِلْني أَوْ تَتَحَدَّثْ إِلَيَّ، فَقَدْ قالَتْ خادِمَتُها إِنَّها تَبْكي فَقَدْ كانَتْ تُحِبُّ أَخاها حُبًّا

شَديدًا، وسَوْفَ تَظَلُّ مُعْتَكِفَةً في قَصْرِها سَبْعَ سَنَواتٍ لا تُقابِلُ فيها أَحَدًا.»

لَمْ يَسَعْ أُورْسِينُو إِلَّا أَنْ يُفكِّرَ في هَذا الحُبِّ الرَّائِعِ والحُزْنِ العَميقِ عَلى أَخِيها الَّذي ماتَ، وتَخَيَّلَ كَيْفَ سَيَكونُ حُبُّها عِنْدَما تَقَعُ في الحُبِّ الحَقِيقيِّ.

* * *

وَفي مَكانٍ غَيْرِ بَعيدٍ عن قَصْرِ أُورْسِينُو كانَ رُبَّانُ إِحْدَى السُّفُنِ يُناضِلُ مَعَ بَحَّارَتِهِ لِيَسْحَبوا إلى الشَّاطِئِ قارِبَهُمُ الَّذي أَوْشَكَ عَلى الغَرَقِ. وكانَتْ مَعَهُمْ فَتاةٌ شابَّةٌ. سَأَلَتْهُمُ الفَتاةُ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذا أَيُّها الأَصْدِقاءُ؟»

أَجابوها: «هَذِه إِلْلِيريا.»

فَقالَتْ: «وَماذا يُمْكِنُني أَنْ أَصْنَعَ في إِلْلِيريا؟ إِنَّ أَخي لَيْسَ هُنا، وَأَكادُ أَجْزِمُ أَنَّ رُوحَهُ قَدْ صَعِدَتْ إلى السَّماءِ.» ثُمَّ سَأَلَتِ الرُّبَّانَ: «أَثَمَّةَ احْتِمالٌ أَنْ يَكونَ أَخي سِيباسْتِيان عَلَى قَيْدِ الحَياةِ؟»

أَجابَها: «لَقَدْ نَجَوْتِ مِنَ الغَرَقِ بِالمُصادَفَةِ. ومِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ أَخوكِ حَسَنَ الحَظِّ كَذَلِكَ. لَقَدْ رَأَيْتُهُ عِنْدَما هَبَّتْ تِلْكَ العَاصِفَةُ الهَوْجاءُ وحَطَّمَتْ سَفينَتَنا. ولَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الوُصولِ إلى قارِبِنا، وَكانَ رابِطًا نَفْسَهُ بِلَوْحٍ كَبيرٍ مِنَ الخَشَبِ سَقَطَ مِنَ السَّفينَةِ المُحَطَّمَةِ.»



بَدَتْ ڤْيُولا سَعيدةً وَشَكَرَتِ الرُّبَّانَ عَلَى تِلْكَ الكَلِماتِ الَّتي أَدْخَلَتِ الرَّاحةَ إلى نَفْسِها، وكَذَلِكَ شَكَرَتْهُ عَلَى إنْقاذِهِ لَها، وَمَنَحَتْهُ قَدْرًا مِنَ الذَّهَبِ وَسَأَلَتْهُ: «هَلْ تَعْرِفُ هَذا البَلَدَ؟»

أَجابَ: «نَعَمْ! إنَّ بَيْتي هُنا.»

سَأَلَتْهُ: «مَنِ الحاكِمُ؟»

أَجابَ: «رَجُلٌ طَيِّبٌ يُسَمّى أُورْسِينُو.»

قالَتْ: «رُبَّما أَتَمَكَّنُ مِنَ العَمَلِ في بَلاطِهِ (قَصْرِهِ) إلى أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا عَنْ مَصيرِ أَخي سِيباسْتِيان، سَوْفَ أَعْمَلُ تابِعةً لِأُورْسِينُو. فَفي وُسْعي أَنْ أُغَنِّيَ وأَعْزِفَ لَهُ مُخْتَلِفَ القِطَعِ المُوسيقيَّةِ. ولَكِنْ لا يُمْكِنُني أَنْ أَذْهَبَ إلى بَلاطِهِ كامْرَأَةٍ وَحيدةٍ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُفَسِّرَ سَبَبَ مَجيئِها، ولا مِنْ أَيْنَ جاءَتْ. أَمَّا إذا ارْتَدَيْتُ مَلابِسَ شابٍّ فَسَيكونُ ذَلِكَ مُناسِبًا، فَقَدْ يَسْتَطيعُ الشَّابُّ العَمَلَ في أَيِّ مَكانٍ بِدُونِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ أَيْنَ أَتَى، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَتاةِ. فَهَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تُساعِدَني في الحُصولِ عَلى مَلابِسِ شابٍّ نَبيلٍ؟ سَأُسَمِّي نَفْسِي باسمٍ مِنْ أَسْماءِ الرِّجالِ «سِيزارْيو» عَلَى أَنْ تُساعِدَني وَتَكْتُمَ سِرِّي.»

وافَقَ الرُّبَّانُ، وَقالَ لَها: «سَوْفَ أُساعِدُكِ. تَعالَيْ مَعي.»

* * *

في بَيْتِ أُولِيڤْيا، نَظَرَتْ مارِيا – خادِمَتُها – إلى السَّيِّدِ تُوبِي

بِلْتْش - عَمِّ أُولِيڤْيا العَجوزِ - وتَنَهَّدَتْ، وَقالَتْ لَهُ مُحَذِّرةً: «في الواقِعِ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَلَّا تَعودَ مُتَأَخِّرًا إلى البَيْتِ كُلَّ لَيْلَةٍ، ويَجِبُ أَنْ يَكونَ سُلوكُكَ داخِلَ البَيْتِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. لَقَدْ بَلَغَ الغَضَبُ بِسَيِّدَتي غايَتَهُ مِنْكَ وَمِنْ نَديمِكَ، ذَلِكَ الفارِسِ الأَحْمَقِ.»

«السَّيِّدُ أَنْدرُو أَجْيُوتْشِيك أَحْمَقُ؟!»

«أَجَلْ، إِنَّ كُلَّ شَخْصٍ يَعْرِفُ ذَلِكَ. إِنَّهُ أَحْمَقُ مُشاكِسٌ وَيَقولُونَ إِنَّهُ يَتَشاجَرُ مَعَ كُلِّ النَّاسِ. ولِحُسْنِ حَظِّهِ أَنَّهُ جَبانٌ، وَهَذا ما يُنْقِذُه مِنَ العَواقِبِ الوَخيمةِ لِمُشاجَراتِهِ.»

أَسْرَعَ السَّيِّدُ تُوبِي بِاسْتِلالِ سَيْفِهِ وَقالَ غاضِبًا: «مَنْ هُمْ أُولَئِكَ الَّذينَ يَقولونَ هَذا؟» وأَبْدَى اسْتِعْدادَهُ لِلدِّفاعِ عَنْ سُمْعَةِ صَديقِهِ، فَتَرَكَتْهُ الخادِمَةُ وَانْصَرَفَتْ.

* * *

تَمَكَّنَتْ ڤْيُولا بَعْدَ انْقِضاءِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ عَلى عَمَلِها، أَنْ تَكْسِبَ ثِقَةَ سَيِّدِها أُورْسِينُو، وَأَصْبَحَتْ تابِعَهُ الَّذي يَضَعُ فيهِ كُلَّ ثِقَتِهِ. وَكانَتْ ڤْيُولا، وَهِيَ في مَلابِسِ الرِّجالِ الَّتي تَرْتَديها، تُدْخِلُ السُّرورَ إلى نَفْسِهِ بِطُرُقٍ شَتَّى.

قالَ أُورْسِينُو مُوَجِّهًا كَلامَهُ إلى ڤْيُولا: «تَعالَ هُنا يا سِيزارْيُو. أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَحْمِلَ رِسالَةً إلى أُولِيڤْيا. أَنْتَ تَعْرِفُ الآنَ كُلَّ أَسْراري

وَمِقْدارَ حُبِّي لَها. لا تَسْمَحْ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يَحولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بابِها. قُلْ لَهُمْ إِنَّكَ لَنْ تُغادِرَ المَكانَ حَتَّى تَراها.»

سَأَلَتْهُ ڤْيولا: «هَلْ سَتُقابِلُني؟ وَإذا سَمَحَتْ لي بِالحَديثِ إِلَيْها، ماذا سَأَقولُ لَها؟»

تَنَهَّدَ أُورْسينُو قائِلًا: «تَحَدَّثْ إِلَيْها عَنْ مَدَى حُبِّي لَها، أَظْهِرْ لَها ما أُعانيهِ مِنْ شَقاءٍ بِسَبَبِها. رُبَّما تَسْتَمِعُ إِلَيْكَ فَأَنْتَ لَطيفٌ مِثْلُها، وَلَكَ صَوْتٌ رَخيمٌ. ابْذُلْ كُلَّ ما في وُسْعِكَ مِنْ أَجْلي.»

قالَتْ ڤْيولا: «سَوْفَ أَبْذُلُ قُصارَى جَهْدي.» ولَكِنَّها قالَتْ لِنَفْسِها: «سَوْفَ أُحاوِلُ أَنْ أَسْتَميلَ قَلْبَها نَحْوَهُ، وَلَكِنْ، ماذا لَوْ أَصْبَحَتْ زَوْجَتَهُ؟ سَوْفَ يَكونُ هَذا شَيْئًا مُؤْلِمًا بِالنِّسْبَةِ لي. إِنَّني أَتَمَنَّى أَنْ أَكونَ زَوْجَةً لَهُ.»

كانَ مِنْ واجِبِ فِسْتا، كَواحِدٍ مِنْ خَدَمِ أُولِيڤْيا، أَنْ يَعْمَلَ عَلى إِضْحاكِها. وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أُولِيڤْيا مَيْلٌ إِلى الضَّحِكِ بَعْدَ وَفاةِ والِدِها ثُمَّ أَخيها. وَلَكِنَّها لَمْ تُرِدِ الاسْتِغْناءَ عَنْ فِسْتا، فَقَدْ كانَ هُوَ المُهَرِّجَ الخاصَّ لِوالِدِها لِسَنَواتٍ عَديدَةٍ. وَكانَتْ أُولِيڤْيا غاضِبَةً مِنْ فِسْتا لِأَنَّهُ قَضى مُعْظَمَ وَقْتِهِ في بَلاطِ أُورْسينُو حَيْثُ اسْتَمْتَعَ الجَمْعُ بِأَغانِيهِ وَنِكاتِهِ.

وَكانَتْ أُولِيڤْيا تَتَناقَشُ مَعَ مالْڤُولْيُو – رَئيسِ خَدَمِها – في بَعْضِ الشُّئونِ المَنْزِلِيَّةِ عِنْدَما دَخَلَ فِسْتا قائِلًا: «بارَكَكِ اللهُ يا سَيِّدَتي.»

لكِنَّ أُولِڤْيا اتَّجَهَتْ إلى الخَدَمِ قائِلَةً: «خُذُوا هَذا الأَبْلَه بَعيدًا.»

صاحَ فِسْتا في الخَدَمِ: «أَلا تَسْمَعونَ أَيُّها الرِّفاقُ؟ خُذُوا السَّيِّدَةَ بَعيدًا.»

فَدَهَشَتْ أُوليڤْيا وَقالَتْ: «لَقَدْ طَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يَأْخُذوكَ أَنْتَ بَعيدًا.»

فَرَدَّ قائِلًا: «لَقَدْ طَلَبْتِ مِنْهُمْ أَنْ يَأْخُذوا الأَبْلَهَ بَعيدًا. وَيُمْكِنُني أَنْ أُثْبِتَ أَنَّكِ أَنْتِ البَلْهاءُ.»

«هَلْ يُمْكِنُكَ ذَلِكَ؟»

«نَعَمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكِ أَنْ تُجيبي عَنْ أَسْئِلَتي. أَوَّلًا: لِماذا أَنْتِ حَزينَةٌ هَكَذا؟»

«لِأَنَّ أَخي قد تُوُفِّيَ أَيُّها الأَبْلَهُ.»

«إِذًا فَقَدْ ذَهَبَ إلى الشَّيْطانِ؟»

«لا، أَيُّها الأَبْلَهُ، إِنَّهُ في الجَنَّةِ.»

«إذا كانَ في الجَنَّةِ، وَأَنْتِ حَزينَةٌ، لِذَلِكَ تكونينَ أَنْتِ البَلْهاءَ. أَيُّها السَّادةُ خُذُوا هَذِهِ البَلْهاءَ بَعيدًا.»

قالَتْ وَهِيَ تُوشِكُ أَنْ تَضْحَكَ: «ما رَأْيُكَ يا مالْڤُولْيُو؟ إِنَّهُ مُهَرِّجٌ ذَكِيٌّ، وأَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الواجِبِ عَلَيَّ أَنْ أُسامِحَهُ.»



وَلَكِنَّ مالْفُولْيُو لَمْ يَكُنْ سَعيدًا بِذَلِكَ. قالَ: «يُدْهِشُني يا سَيِّدَتي أَنْ تَسْمَحي لِمِثْلِ هَذا الغَبِيِّ أَنْ يَتَصَرَّفَ عَلَى هَذا النَّحْوِ.»

قالَتْ أُولِيفْيا: «آهٍ يا مالْفُولْيُو؛ إِنَّكَ مَرِيضٌ بالغُرورِ. يَجِبُ أَنْ تَكونَ كَريمًا في حُكْمِكَ. لَيْسَ هُناكَ ضَررٌ مِنْ أَنْ يُسيءَ المُهَرِّجُ التَّصَرُّفَ لأَنَّ هَذا هو المُتَوَقَّعُ مِنْهُ.»

عِنْدَئِذٍ دَخَلَتْ مارِيا وَقالَتْ: «سَيِّدَتي، بِالبابِ شابٌّ يَطْلُبُ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْكِ.»

«هَلْ جاءَ مِنْ قِبَلِ أُورْسِينُو؟»

«لا أَدْري يا سَيِّدَتي، وَلَكِنَّهُ شابٌّ وَسيمٌ لِلْغايةِ.»

أَشارَتْ أُولِيفْيا إلى مالْفُولْيُو أَنْ يَذْهَبَ إلى البابِ قائِلَةً: «إذا كانَ قَدْ جاءَ مِنْ قِبَلِ أُورْسِينُو فَقُلْ لَهُ إِنِّي مَريضةٌ، أَوْ لَسْتُ بِالبَيْتِ، أَوِ اعْتَذِرْ بِأَيِّ عُذْرٍ يَصْرِفُهُ مِنْ هُنا.»

عِنْدَما رَجَعَ مالْفُولْيُو قالَ لَها: «إِنَّ الشَّابَّ مُصَمِّمٌ عَلى أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْكِ. لَقَدْ قُلْتُ لَهُ إِنَّكِ مَريضةٌ فَقالَ أَعْرِفُ ذَلِكَ وَلِهَذا جِئْتُ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكِ نائِمةٌ فَقال أَعْرِفُ ذَلِكَ، ولِهَذا أَتَيْتُ. إِنَّ لَدَيْهِ رَدًّا حاضِرًا لِكُلِّ شَيْءٍ.»

«قُلْ لَهُ إِنَّهُ لَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيَّ أَبَدًا.»

«لَقَدْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَأَجابَ بِأَنَّهُ لَنْ يَبْرَحَ البابَ أَبَدًا.»

قالَتْ أُولِيڤْيا: «ما شَكْلُ هَذا الشَّابِّ الشَّديدِ الإِصْرارِ؟»

فَكَّرَ مالْڤُولْيُو لَحْظةً ثُمَّ قالَ: «إِنَّهُ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يكونَ رَجُلًا، وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَبِيًّا. إِنَّهُ كالتُّفَّاحةِ الَّتي لَمْ يَكْتَمِلْ نُضْجُها. لَهُ مَلامِحُ صَبِيٍّ، ولَكِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِحَزْمٍ.»

أَصْدَرَتْ أُولِيڤْيا أَمْرَها بِالسَّماحِ لَهُ بِالدُّخولِ، ثُمَّ قالَتْ لِمارِيا: «ضَعي النِّقابَ عَلَى وَجْهي.»

عِنْدَما دَخَلَتْ ڤْيُولا في مَلابِسِ الرِّجالِ كانَ وَجْهُ أُولِيڤْيا مُخْتَفِيًا تَحْتَ النِّقابِ، فَكانَ أَوَّلُ ما قالَتْهُ ڤْيُولا: «مَنْ مِنْكُما سَيِّدةُ القَصْرِ؟»

أَجابَتْ أُولِيڤْيا: «تَحَدَّثْ إِلَيَّ فَسَوْفَ أُجيبُكَ عَنْها. ماذا تُريدُ؟»

«أَيَّتُها السَّيِّدةُ ذاتُ الجَمالِ الكامِلِ الرَّائِعِ الَّذي لا مَثيلَ لَهُ، خَبِّريني مِنْ فَضْلِكِ عَمَّا إذا كُنْتِ رَبَّةَ البَيْتِ - يَجِبُ أَلَّا أُبَدِّدَ خِطابيَ، فَقَدْ أَتْقَنْتُ كِتابَتَهُ، وَبَذَلْتُ جَهْدًا كَبيرًا كَيْ أَحْفَظَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ كُلَّ كَلِمةٍ فيهِ.»

كان لِهَذِهِ الكَلِماتِ وَقْعٌ حَسَنٌ في نَفْسِ أُولِيڤْيا فَقالَتْ: «مَنْ أَنْتَ يا سَيِّدي؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟»

«لا يُمْكِنُني أَنْ أَقولَ أَكْثَرَ مِمَّا حَفِظْتُ، وَهَذا السُّؤالُ خارِجٌ عَمَّا أَعْدَدْتُ. فَلَيْسَتْ إجابَتُهُ في الخِطابِ الَّذي حَفِظْتُهُ. عَلَيَّ أَنْ أُواصِلَ إِلْقاءَ خِطابي الَّذي أَعْدَدْتُهُ في مَديحِكِ، ثُمَّ أَصِلَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى

لُبّ رِسالَتي.»

كادَتْ أُولِيڤْيا أَنْ تَبْتَسِمَ لِهَذا الرَّدِّ فَقالَتْ: «اِبْدَأْ بِما هوَ مُهِمٌّ في خِطابِكَ - سَأَسْمَحُ لَكَ بِأَنْ تَحْذِفَ الجُزْءَ الخاصَّ بالمَديحِ.»

«ولَكِنّي حَفِظْتُهُ بِعِنايةٍ فائِقةٍ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِقَصيدةِ شِعْرٍ.»

«إذًا، فَمِنَ الرّاجِحِ أَنَّهُ غَيْرُ صادِقٍ. قُلْ لي رِسالَتَكَ بِنَصِّها.»

«سَيِّدَتي الفُضْلى، اِسْمَحي لي أَنْ أَرى وَجْهَكِ.»

«هَذا غَيْرُ مَكْتوبٍ في خِطابِكَ، وَلَكِنّي سَوْفَ أُزيحُ السِّتارَ جانِبًا وَأُريكَ الصُّورةَ.» ثُمَّ نَزَعَتْ أُولِيڤْيا النِّقابَ عَنْ وَجْهِها وَقالَتْ: «ها هِيَ ذي الصُّورةُ، أَلَيْسَتْ بَديعةَ الصُّنْعِ؟»

نَظَرَتْ ڤيُولا إلى الوَجْهِ الجَميلِ وقالَتْ: «ما أَبْدَعَ صُنْعَها، إذا كانَتْ كُلُّها مِنْ صُنْعِ اللهِ.»

قالَتْ أُولِيڤْيا: «أَجَلْ، إنَّها طَبيعيَّةٌ.»

قالَتْ ڤيُولا: «إنَّها لَصُورةٌ جَميلةٌ حَقًّا صَوَّرَتْها يَدُ الخالِقِ. سَيِّدَتي، سَوْفَ تَكونينَ أَكْثَرَ نِساءِ العالَمِ قَسْوةً إذا رَحَلْتِ بِمَحاسِنِكِ عَنْ عالَمِنا دُونَ أَنْ تَتْرُكي لِلْعالَمِ نُسْخَةً مِنْها.»

تَظاهَرَتْ أُولِيڤْيا بِأَنَّها صُدِمَتْ لِما سَمِعَتْهُ، ولَكِنَّها ابْتَسَمَتْ وَقالَتْ: «لَنْ أَكونَ بِهذِهِ القَسْوةِ يا سَيِّدي. سَوْفَ أَتْرُكُ لِهَذا العالَمِ قائمةً تَحْوي: شَفَتَيْنِ حَمْراوَيْنِ، وعَيْنَيْنِ رَمادِيَّتَيْنِ مَعَ أَجْفانِهِما



وَعُنُقًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَلَكِنْ، هَلْ جِئْتَ هُنا لِتَمْدَحَني؟»

أَجابَتْ ڤَيُولا : «لَقَدْ أَدْرَكْتُ الآنَ سَبَبَ حُبِّ سَيِّدي لَكِ وَلَكِنَّكِ شَديدةُ الكِبْرياءِ. إِنَّ حُبًّا كَحُبِّهِ جَديرٌ بِأَنْ يُكافَأَ، حَتَّى وَإِنْ كانَتْ مَنْ سَتُكافِئُهُ هِيَ أَجْمَلَ نِساءِ العالَمِ.»

عادَ إلى أُولِيڤْيا شُعورُها بِالحُزْنِ، فَقالَتْ: «إِنَّ سَيِّدَكَ لا يَعْرِفُ حَقيقَةَ مَشاعِري. لا يُمْكِنُني أَنْ أُحِبَّهُ. أَنا أَعْرِفُ أَنَّهُ طَيِّبٌ، نَبيلٌ، وَأَنَّهُ شابٌّ مُثَقَّفٌ شُجاعٌ وَهُوَ في مَجْموعِهِ رَجُلٌ مُمتازٌ. وَلَكِنْ لا يُمْكِنُني أَنْ أُحِبَّهُ.»

قالَتْ ڤَيُولا: «لَوْ أَنَّني أَحْبَبْتُكِ بِالقَدْرِ الَّذي يُحِبُّكِ سَيِّدي بِهِ وَعانَيْتُ ما يُعانيهِ لَما قَبِلْتُ رَفْضَكِ هَذا.»

«وَماذا كُنْتَ سَتَفْعَلُ؟»

«كُنْتُ أَبْني لِنَفْسي، عِنْدَ مَدْخَلِ بَيْتِكِ، كُوخًا مِنْ أَغْصانِ شَجَرَةِ الصَّفْصافِ، وَأَكْتُبُ الأَغانِيَ الحَزينَةَ عَنِ الحُبِّ الضّائِعِ لأُغَنِّيَها في سُكونِ اللَّيْلِ فَأَقولُ:

«اِصْنَعوا لِي كُوخًا بِبابِ حَبيبي
ثُمَّ نادوا رُوحِيَ الَّتي هِيَ عِنْدَهُ
أُكْتُبُوا اللَّحْنَ مِنْ شِفاهِ مُحِبٍّ
باتَ يَشْكو هَجْرَ الحَبيبِ وَصَدَّهُ
ثُمَّ غَنّوا الأَلْحانَ في هَدْأَةِ اللَّيْلِ
عَساهُ يَدْنو وَيُظْهِرُ وُدَّهُ

وَسَوْفَ أَجْعَلُكِ تُشْفِقينَ عَلَيَّ أَيْنَما تَكونينَ.»

قالَتْ أُولِيڤْيا: «رُبَّما تَنْجَحُ في ذَلِكَ. حَدِّثْني عَنْ عائِلَتِكَ.»

«هيَ أَفْضَلُ مِمَّا يُوحي بِهِ وَضْعِيَ الحالِيُّ - أَنا رَجُلٌ نَبيلٌ.»

«اِرْجِعْ إِلى سَيِّدِكَ، وَقُلْ لَهُ إِنَّهُ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُحِبَّهُ، وَعَلَيْهِ أَلَّا يُرْسِلَ إِلَيَّ أَحَدًا بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا إِذا أَرْسَلَكَ أَنْتَ.»

«وَداعًا إِذًا أَيَّتُها الحَسْناءُ القاسِيَةُ.» ثُمَّ غادَرَتْ ڤْيُولا المَكانَ تارِكَةً أُولِيڤْيا وَحْدَها في الغُرْفَةِ.

تَنَهَّدَتْ أُولِيڤْيا وَأَخَذَتْ تُرَدِّدُ في نَفْسِها ما جَرَى مِنْ حِوارٍ وَتَقولُ: «حَدِّثْني عَنْ عائِلَتِكَ.»، «هيَ أَفْضَلُ مِمَّا يُوحي بِهِ وَضْعِيَ الحالِيُّ - أَنا رَجُلٌ نَبيلٌ.» وَفَكَّرَتْ: «نَعَمْ، أَنا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّكَ كَذَلِكَ. إِنَّ طَريقَةَ كَلامِكَ وَحَرَكاتِكَ وَمَظْهَرَكَ - كُلَّ شَيْءٍ يَجْعَلُني أَقولُ إِنَّكَ رَجُلٌ نَبيلٌ. إِنّي أُحِسُّ بِانْجِذابٍ غَريبٍ نَحْوَ هَذا الشَّابِّ. إِنَّهُ لَوْ أَرادَ..» وَلكِنَّها تَوَقَّفَتْ عَنِ التَّفْكيرِ عِنْدَ هَذا الحَدِّ وَنادَتْ مالْڤُولْيُو.

عِنْدَما جاءَ مالْڤُولْيُو أَعْطَتْهُ خاتَمًا ثَمينًا من خَواتِمِها وَقالَتْ: «أَسْرِعْ وَراءَ ذَلِكَ الشَّابِّ الوَقِحِ الَّذي جاءَ بِرِسالَةٍ مِنْ أُورْسينُو، وَأَعْطِهِ هَذا الخاتَمَ. لَقَدْ تَرَكَ هَذا الخاتَمَ وَراءَهُ رَغْمَ أَنّي قُلْتُ لَهُ أَلَّا يَتْرُكَهُ. قُلْ لَهُ إِني لا أُريدُهُ.»

* * *

أَمَّا سِيباسْتِيان أخو فْيُولا فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ. فَفي اللَّحْظَةِ الَّتِي كانَتْ فْيُولا تُغادِرُ فيها بَيْتَ أُولِيفْيا، كانَ سِيباسْتِيان يُوَدِّعُ رُبّانًا بَحْرِيًّا شُجاعًا - يُسَمَّى أَنْطُونْيُو - كانَ قَدْ أَنْقَذَهُ مِنَ الغَرَقِ في البَحْرِ، واعْتَنى بِهِ حَتَّى اسْتَعادَ قُوَّتَهُ.

قالَ أَنْطُونْيُو لِسِيباسْتِيان الَّذي كانَ مُسْتَعِدًّا لِلرَّحيلِ: «أَلَيْسَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ تَبْقَى مَعي فَتْرَةً أُخْرَى، أَوْ عَلَى الأَقَلِّ أَنْ تَسْمَحَ لي بِمُصاحَبَتِكَ؟»

فَقالَ سِيباسْتِيان: «نَعَمْ، إِنَّ الحَظَّ يُعانِدُني وَعَلَيَّ أَنْ أُواجِهَهُ وَحْدي.»

«إِذًا فَلْتَقُلْ لي أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ.»

قالَ سِيباسْتِيان: «لا، وَالسَّبَبُ أَنِّي لا أَعْرِفُ إِلى أَيْنَ أَذْهَبُ. لَقَدْ كُنْتَ في غايَةِ العَطْفِ عَلَيَّ، بَلْ إِنَّكَ لَمْ تَسْأَلْني أَيَّةَ أَسْئِلَةٍ مِنْ قَبْلُ. أَنا شاكِرٌ لَكَ كُلَّ الشُّكْرِ عَلَى ما قَدَّمْتَ لي من جَميلٍ. وَمِنَ الواجِبِ عَلَيَّ أَنْ أُخْبِرَكَ عَمَّنْ أَكونُ: اسْمي سِيباسْتِيان، وَقَدْ تُوُفِّيَ والِدي مُنْذُ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ وَتَرَكَني أَنا وَأُخْتي التَّوْءَمَ - وَقَدْ كُنَّا مَعًا عَلَى ظَهْرِ تِلْكَ السَّفينَةِ الَّتي تَحَطَّمَتْ، وَقَدْ قُمْتَ أَنْتَ بِإِنْقاذي - أَمَّا هِيَ. فَقَدْ غَرِقَتْ. لَكَمْ كُنْتُ أُحِبُّها. كانَ النَّاسُ يَقولونَ إِنَّها كانَتْ تُشْبِهُني تَمامًا وَلَكِنْ لَيْسَ هَذا مُمْكِنًا فَقَدْ كانَتْ في غايَةِ الجَمالِ، وَكانَتْ في مُنْتَهى الذَّكاءِ أَيْضًا. وَهَأَنَذا الآنَ أُصْبِحُ وَحيدًا وَلَيْسَ لَدَيَّ ما يَجْعَلُني أَذْهَبُ إِلى مَكانٍ بعَيْنِهِ. وَلَكِنِّي سَأَذْهَبُ إِلى بَلاطِ أُورْسِينُو. وَأَرَى

مِنَ الواجِبِ عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَكَ ثانِيةً، وَأَنْ أُغادِرَ هَذا المَكانَ قَبْلَ أَنْ تَرى الدُّمُوعَ تَنْسَكِبُ مِنْ عَيْنَيَّ وَكَأَنِّي لَسْتُ بِرَجُلٍ.» ثُمَّ غادَرَ سِيباسْتِيان المَكانَ.

ظَلَّ أَنطُونْيُو يَنْظُرُ إلى سِيباسْتِيان وَيُفَكِّرُ قائِلًا لِنَفْسِهِ: «بَلاطُ أُورْسِينُو! إنَّ لَدَيَّ أَعْداءً كَثيرينَ هُناكَ. وَلَكِنِّي أُحِبُّكَ وَكَأَنَّكَ ابْني، وَسَوْفَ أَتْبَعُكَ إلى هُناكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الأَخْطارِ.»

* * *

جَرى مالْفُولْيُو لِيَلْحَق بِڤْيُولا قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إلى قَصْرِ أُورْسِينُو. فَلَمّا لَحِقَ بِها قالَ: «خُذْ مِنْ فَضْلِكَ خاتَمَ سَيِّدِكَ. كانَ مِنَ الواجِبِ أَنْ تَأْخُذَهُ مَعَكَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تُكَلِّفَني كُلَّ هَذِهِ المَشَقَّةِ.»

قالَتْ ڤْيُولا: «أَنا لَمْ أَتْرُكْ وَرائي أَيَّ خاتَمٍ. وَلَنْ آخُذَهُ.»

وَلَكِنَّ مالْفُولْيُو أَلْقَى بِالخاتَمِ عَلَى الأَرْضِ عِنْدَ قَدَمَيْ ڤْيُولا قائِلًا: «حَسَنًا، ها هُوَ ذا الخاتَمُ هُناكَ، خُذْهُ أَوِ اتْرُكْهُ، هَذا شَأْنُكَ.» وعادَ غاضِبًا إلى بَيْتِ أُولِيڤْيا.

شَعَرَتْ ڤْيُولا بِالحَيْرةِ وقالَتْ لِنَفْسِها: «أَنا لَمْ أَتْرُكْ مَعَها أَيَّ خاتَمٍ. ماذا تَعْني؟ لَقَدْ كانَتْ تَنْظُرُ إلَيَّ كما لَوْ كانَتْ تُحِبُّني. هَلْ هَذا هُوَ سَبَبُ إرْسالِ الخاتَمِ لي؟ أَلأَنَّها تُحِبُّني؟ لَوْ كانَ هَذا صَحيحًا، أَيَّتُها السَّيِّدةُ المِسْكينَةُ، لَكانَ مِنَ الأَفْضَلِ لَكِ أَلّا تُواصِلي العَيْشَ في هَذا الوَهْمِ. كَيْفَ سَتكونُ نِهايَةُ هَذا الوَضْعِ الغَريبِ؟ إنَّ



أُورْسِينُو يُحِبُّها مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ، وَأَنا مِنْ سُوءِ حَظِّي أُحِبُّهُ هُوَ بِنَفْسِ القُوَّةِ. إِنَّ أُولِيفْيا لا تُحِبُّهُ وَيَبْدو أَنَّها تُحِبُّنِي. إِنَّ حُبِّي لَهُ لا جَدْوَى مِنْهُ ما دُمتُ أَنا سِيزارْيو، وَحُبَّها لِي لا جَدْوَى مِنْهُ لأَنِّي أَنا فَيُولا. إِنَّ الزَّمَنَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذي سَيُبَيِّنُ كَيْفَ سَيَنْتَهِي هَذا الوَضْعُ الغَرِيبُ.»

* * *

كانَ السَّيِّدُ تُوبِي وَالسَّيِّدُ أَنْدرُو يَتَسامَرانِ في غُرْفَةٍ بِبَيْتِ أُولِيفْيا، عِنْدَمَا دَخَلَ فِسْتا فَصاحا بِهِ قائِلَيْنِ: «فَلْتُغَنِّ لَنا أُغْنِيَّةً.»

فَسَأَلَهُما فِسْتا: «هَلْ تُحِبّانِ أُغْنِيَّةَ غَرامٍ أَمْ أُغْنِيَّةً عَنِ الأَعْمالِ الصّالِحَةِ؟»

فَقالا لَهُ: «أُغْنِيَّةَ غَرامٍ!» فَغَنَّى لَهُما فِسْتا:

إِلى أَيْنَ تَمْضي حَبيبَ الفُؤادِ
تَمَهَّلْ لِتَسْمَعَ لَحْنَ الوِدادْ
أُغَنِّيهِ جَهْرًا، أُغَنِّيهِ هَمْسًا
كَفاكَ الصُّدودَ، كَفاكَ البِعادْ
فَدَرْبُ الهَوى يَنْتَهي بِاللِّقاءِ
كَذَلِكَ قالَ ذَكِيُّ الفُؤادْ

فَصاحَ أَنْدرُو: «أُغْنِيَّةٌ رائِعةٌ!» وافَقَ السَّيِّدُ تُوبِي عَلى ذَلِكَ قائِلًا: «حَسَنٌ، حَسَنٌ.»

وَلَكِنَّ مارِيا جاءَتْ مُسْرِعةً وقالَتْ: «لِمَ كُلُّ هَذِهِ الضَّوْضاءِ؟ إنَّ سَيِّدَتي قَدْ دَعَتْ مالْڤُولْيُو وَأَمَرَتْهُ بِأَنْ يُخْرِجَكُما مِنَ البَيْتِ.»

فَضَحِكَ السَّيِّدُ تُوبِي وَالسَّيِّدُ أَنْدرُو وَأَخَذا يُغَنِّيانِ، فَدَخَلَ مالْڤُولْيُو مُسْرِعًا وَقالَ: «يا سَيِّدَيَّ، هَلْ جُنِنْتُما؟ إنَّ الوَقْتَ مُتَأَخِّرٌ وَأَنْتُما في مَنْزِلِ سَيِّدَتي لا في فُنْدُقٍ عامٍّ. أَلا تَحْتَرِمانِ المَكانَ أَوِ الأَشْخاصَ أَوِ الوَقْتَ؟»

صاحَ السَّيِّدُ تُوبِي: «تَتَحَدَّثُ عَنِ الوَقْتِ، إنَّ الوَقْتَ مُناسِبٌ لِلْغِناءِ. ابْتَعِدْ عَنّا. هاتِ لَنا مَزيدًا مِنَ الطَّعامِ يا مارِيا.»

فَقالَ مالْڤُولْيُو: «يا مارِيا، إنَّكِ تُساعِدينَهُما عَلَى إساءَةِ السُّلوكِ. وسَوْفَ أُخْبِرُ سَيِّدَتي بِذَلِكَ.» وَخَرَجَ مِنَ الغُرْفَةِ في غايَةِ الغَضَبِ.

قالَتْ مارِيا بَعْدَ أَنْ خَرَجَ: «اذْهَبْ وَانْفُضْ أُذُنَيْكَ أَيُّها الحِمارُ العَجوزُ.» ثُمَّ قالَتْ لِلسَّيِّدِ تُوبِي: «اسْتَمِعْ - عَلَيْنا أَنْ نَتَوَلَّى أَمْرَ مالْڤُولْيُو. إنَّ لَدَيَّ فِكْرَةً جَيِّدَةً. في وُسْعي أَنْ أُقَلِّدَ خَطَّ سَيِّدَتي، وَسَوْفَ أَقومُ بِكِتابَةِ خِطاباتٍ تَمْتَدِحُ لَوْنَ لِحْيَتِهِ وَشَكْلَ ساقَيْهِ وَمِشْيَتَهُ وَما إلى ذَلِكَ، ثُمَّ أَرْمِي بِهَذِهِ الخِطاباتِ في طَريقِهِ.»

ضَحِكَ السَّيِّدُ تُوبِي وَقالَ: «وَعِنْدَئِذٍ سَوْف يَعْتَقِدُ أَنَّ أُولِيڤْيا تُحِبُّهُ. هَذِهِ فِكْرَةٌ مُمْتازَةٌ! سَوْفَ أَتَزَوَّجُكِ مُكافَأَةً لَكِ عَلَى هَذِهِ الفِكْرَةِ المُمْتازَةِ.»

* * *

كانَ أُورْسِينُو جالِسًا في قَصْرِهِ يَسْتَمِعُ إلى المُوسيقَى عِنْدَما قالَ لِڤِيُولا: «تَعالَ يا فَتى! إذا حَدَثَ وَوَقَعْتَ في الغَرامِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَني. إنَّ كُلَّ المُحِبِّينَ الصَّادِقينَ يُعانونَ مِنَ القَلَقِ مِثْلي. ما رَأْيُكَ في هَذا النَّغَمِ؟»

فَأَنْصَتَتْ ڤِيُولا لِفَتْرةٍ ثُمَّ قالَتْ: «إنَّهُ يَنْفُذُ إلَى القَلْبِ مُباشَرَةً حَيْثُ لا سُلْطَانَ إلّا لِلْحُبِّ.»

قالَ أُورْسِينُو: «إذًا فَأَنْتَ تَفْهَمُ، لا بُدَّ أَنَّكَ قَدْ أَحْبَبْتَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّكَ - هَذا صَحيحٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

«بَلى، تَقْريبًا.»

«أَيَّ نَوْعٍ مِنَ النِّساءِ أَحْبَبْتَ؟»

«شَخْصًا يُشْبِهُكَ.»

فَقالَ لَها أُورْسِينُو: «إذًا فَهِيَ لَيْسَتْ جَديرةً بِكَ - كَمْ كانَ عُمْرُها؟»

«في مِثْلِ سِنِّكَ يا سَيِّدي.»

«كَبيرةٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ لَكَ. إنَّ عَلَى المَرْأَةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ مَنْ هوَ أَكْبَرُ مِنْها سِنًّا، فَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَفْهَمُ طِباعَهُ وَتُحافِظُ عَلَى حُبِّهِ. إنَّنا نَحْنُ الرِّجالَ نَظُنُّ أَنَّنا ثابِتونَ عَلَى العَهْدِ، وَالحَقيقةُ أَنَّ حُبَّنا أَقَلُّ ثَباتًا مِنْ حُبِّ المَرْأَةِ.»

فَابْتَسَمَتْ ڤِيُولا وَقالَتْ: «أَنا أُوافِقُكَ كُلَّ المُوافَقَةِ يا سَيِّدي.»

«لِهَذا فَلْتَكُنْ حَبيبَتُكَ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْكَ. وَالآنَ فَلْتَذْهَبْ مَرَّةً أُخْرى إِلى تِلْكَ الجَميلَةِ القاسيةِ وَلْتُخْبِرْها بِمَدَى حُبِّي لَها.»

«وَلَكِنْ إِذا لَمْ يَكُنْ في وُسْعِها أَنْ تُحِبَّكَ يا سَيِّدي؟»

فَرَدَّ أُورْسِينُو قائِلًا: «لَنْ أَقْبَلَ هَذا الرَّدَّ.»

فَتَجاسَرَتْ (تَجَرَّأَتْ) ڤيُولا وَقالَتْ: «وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَقْبَلَهُ. لِنَفْرِضْ أَنَّ هُناكَ سَيِّدَةً تُحِبُّكَ حُبًّا مِثْلَ حُبِّكَ لِأُولِيڤْيا - وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ تكونَ هَذِهِ السَّيِّدَةُ مَوْجودةً - وَإِذا قُلْتَ لِهَذِهِ السَّيِّدَةِ إِنَّكَ لا تُحِبُّها، أَلَيْسَ مِنَ الواجِبِ عَلَيْها عِنْدَئِذٍ أَنْ تَقْبَلَ هَذا الرَّدَّ؟»

«لَيْسَ هُناكَ امْرَأَةٌ في هَذا العالَمِ يَسَعُ قَلْبُها كُلَّ الحُبِّ الَّذي يَسَعُهُ قَلْبي لِأُولِيڤْيا.»

قالَتْ ڤيُولا: «وَلَكِنِّي أَعْلَمُ.»

«ماذا تَعْلَمُ؟»

«أَنا أَعْرِفُ مِقْدارَ الحُبِّ الَّذي في وُسْعِ المَرْأَةِ أَنْ تُكِنَّهُ لِلرَّجُلِ. إِنَّها تُحِبُّهُ بِالقَدْرِ نَفْسِهِ الَّذي يُحِبُّ بِهِ أَحَدُنا حَبيبَتَهُ. لَقَدْ كانَ لِأَبي ابْنَةٌ تُحِبُّ رَجُلًا حُبًّا عَظيمًا كَذلِكَ الحُبِّ الَّذي يُمْكِنُني أَنْ أُحِبَّهُ لَكَ لَوْ كُنْتُ فَتاةً.»

«وَماذا حَدَثَ؟»

«لا شَيْءَ يا سَيِّدي. إِنَّها لَمْ تَبُحْ لِأَحَدٍ بِحُبِّها، وَكانَتْ تَجْلِسُ تَبْتَسِمُ لِأَساها كَتِمْثالٍ لِلصَّبْرِ. أَلَمْ يَكُنْ هَذا حُبًّا حَقيقِيًّا. إِنَّنا نَحْنُ

الرِّجالَ نَتَحَدَّثُ أَكْثَرَ مِمّا تَتَحَدَّثُ الفَتَياتُ، وَنُقْسِمُ أَكْثَرَ مِنْهُنَّ، وَلَكِنَّنا في الواقِعِ نُظْهِرُ أَكْثَرَ مِمّا نُبْطِنُ.»

اِزْدادَ اهْتِمامُ أُورْسِينُو وَسَأَلَ فَيُولا: «وَلَكِنْ هَلْ ماتَتْ أُخْتُكَ مِنْ فَرْطِ الحُبِّ يا وَلَدي؟»

قالَتْ: «أَنا كُلُّ بَناتِ أَبي وَكُلُّ أَبْنائِهِ أَيْضًا، وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ مِنْ ذَلِكَ. سَيِّدي، هَلْ أَذْهَبُ إِلى تِلْكَ السَّيِّدَةِ؟»

«أَجَلْ، أَسْرِعْ إِلَيْها وأَعْطِها هَذِهِ الجَوْهرةَ، وَقُلْ لَها إِنَّ حُبِّي لا يَقْبَلُ رَفْضًا.»

* * *

اِسْتَعَدَّتْ مارِيا لِأَنْ تَقومَ بِتَنْفيذِ خُطَّتِها لِتَهْزَأَ بمالْفُولْيُو، فَاخْتَبَأَ السَّيِّدُ تُوبِي وَالسَّيِّدُ أَنْدرُو خَلْفَ شُجَيْراتٍ كَثيفةٍ في الحَديقةِ، وَأَسْقَطَتْ مارِيا خِطابًا في المَمَرِّ المُجاوِرِ لِلشُّجَيْراتِ بَيْنَما كانَ مالْفُولْيُو يُوشِكُ أَنْ يَسيرَ في هَذا المَمَرِّ.

عِنْدَما رَأَى مالْفُولْيُو الخِطابَ الْتَقَطَهُ وَقالَ لِنَفْسِهِ: «يَبْدو أَنَّهُ بِخَطِّ أُولِيڤْيا.» ثُمَّ بَدَأَ يَقْرَأُ: «إِذا وَجَدْتَ هَذا الخِطابَ فَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الَّتي تُحِبُّكَ أَعْظَمُ مِنْكَ مَكانةً، وَلَكِنْ لا تَخَفْ مِنَ العَظَمةِ. إِنَّ البَعْضَ يُولَدونَ عُظَماءَ. وَالبَعْضَ يُحَقِّقُونَ العَظمةَ، وَالبَعْضَ الآخَرَ يَجِدونَ العَظَمةَ وَقَدْ أُسْبِغَتْ عَلَيْهِمْ. يَجِبُ أَنْ تَكونَ أَكْثَرَ كِبْرياءً. كُنْ سَليطَ اللِّسانِ مَعَ العَمِّ، وَخَشِنًا مَعَ الخَدَمِ. تَقَبَّلْ هَذِهِ النَّصيحة

مِنْ شَخْصٍ يَتَأَوَّهُ مِنْ مَحَبَّتِكَ. تَذَكَّرْ تِلْكَ الَّتي امْتَدَحَتْ مَلابِسَكَ الصَّفْراءَ، إنَّها تِلْكَ الَّتي تُريدُ أَنْ تَخْدِمَكَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَقومَ أَنْتَ بِخِدْمَتِها. لا بُدَّ أَنَّكَ قَدِ اسْتَنْتَجْتَ مَنْ أَكونُ. إذا قَبِلْتَ مَحَبَّتي لَكَ فَلْتَجْعَلْ إجابَتَكَ تَظْهَرُ في ابْتِسامَتِكَ. إنَّ الابْتِسامَةَ تُناسِبُكَ كَثيرًا. وَلِهَذا أَسْأَلُكَ أَنْ تَكُونَ دائِمَ الابْتِسامِ وَأَنْتَ مَعي، أَيُّها الحَبيبُ العَزيزُ.»

ظَهَرَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِ مالْفُولْيُو، وَأَوْشَكَ السَّيِّدُ أَنْدرُو وَالسَّيِّدُ تُوبِي أَنْ يَنْفَجِرا ضاحِكَيْنِ. قالَ مالْفُولْيُو لِنَفْسِهِ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ: «إنَّ سَيِّدَتي قَدْ سَبَقَ أَنْ أَشارَتْ إلى مَلابِسي الصَّفْراءِ، وَلا شَكَّ أَنَّ هَذا خَطُّها. نَعَمْ، سَوْفَ أَبْتَسِمُ.» ثُمَّ أَسْرَعَ نَحْوَ البَيْتِ.

عَلى بابِ مَنْزِلِ أُولِيفْيا التَقَتْ فْيُولا وفِسْتا فَسَأَلَتْهُ: «أَلَسْتَ مُهَرِّجَ السَّيِّدَةِ أُولِيفْيا؟»

أَجابَ قائِلًا: «بَلى يا سَيِّدي، إنَّها غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ. إنَّني الشَّخْصُ الَّذي يَتَلاعَبُ بِالأَلْفاظِ وَيُحَرِّفُها لِيُضْحِكَها. فابْتَسَمَتْ فْيُولا وَأَعْطَتْهُ قِطْعَةً مِنَ النُّقودِ الذَّهبِيَّةِ.»

قالَ فِسْتا: «هَذا كَرَمٌ زائِدٌ مِنْكَ وَآمُلُ في المَرَّةِ التَّالِيَةِ أَنْ يَكونَ لَدى الحَظِّ لِحْيَةٌ إضافِيَّةٌ لِيَمْنَحَكَ إيّاها.»

قالَتْ فْيُولا لِنَفْسِها: «الحَقيقَةُ أَنَّني أَتَلَهَّفُ عَلى لِحْيَةٍ، وَلَكِنِّي لا أُحِبُّ أَنْ تَنْبُتَ عَلى وَجْهي أَنا. ثُمَّ قالَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «هَلْ سَيِّدَتُكَ بِالبَيْتِ؟»

فَنَظَرَ فِسْتا إلى قِطْعَةِ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ وَقالَ: «يُؤْسِفُني أَنْ لَيْسَ لَها زَوْجٌ.»

فَأَدْرَكَتْ فْيُولا ما يُريدُ، وَسَرْعانَ ما أَعْطَتْهُ قِطْعَةً أُخْرى فَأَجابَها قائلًا: «نَعَمْ، إنَّ سَيِّدَتي بِالبَيْتِ. سَوْفَ أُخْبِرُها بِأَنَّكَ هُنا.» ثُمَّ دَخَلَ البَيْتَ.

دُعِيَتْ فْيُولا بِسُرْعَةٍ لِلدُّخولِ إلى حَديقَةِ أُولِيڤْيا حَيْثُ وَجَدَتْها هُناكَ. قالَتْ فْيُولا وَهِيَ تَرْكَعُ عَلى رُكْبَةٍ واحِدَةٍ، وَتُقَبِّلُ يَدَ أُولِيڤْيا: «أَنا خادِمُكِ أَيَّتُها الأَميرَةُ الجَميلَةُ.»

فَقالَتْ أُولِيڤْيا: «خادِمي؟ أَنْتَ خادِمُ أُورْسِينُو، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

«وَهوَ خادِمُكِ، وَلِهَذا فَإِنَّ عَلى خادِمِهِ أَنْ يَكونَ خادِمَكِ يا سَيِّدَتي.»

قالَتْ أُولِيڤْيا: «إنِّي غَيْرُ مُهْتَمَّةٍ بِهِ. ما اسْمُكَ أَيُّها الشَّابُّ؟»
«سِيزارْيو يا سَيِّدَتي.»
«قُلْ لي رَأْيَكَ فِيَّ يا سِيزارْيو.»

«أَعْتَقِدُ أَنَّكِ لَسْتِ كَما تَظْهَرين.» وَقالَتْ فْيُولا لِنَفْسِها: «إنَّها تَعْتَقِدُ أَنَّها قَدْ وَقَعَتْ في غَرامِ رَجُلٍ.»

قالَتْ أُولِيڤْيا: «وَأَنا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَسْتَ كَما تَظْهَرُ.» وَقالَتْ لِنَفْسِها: «أَنا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهُ يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُدْرِكٍ أَنِّي أُحِبُّهُ.»

فَابْتَسَمَتْ ڤيُولا وَقالَتْ: «أَنْتِ عَلى صَوابٍ. لَسْتُ كَما أَظْهَرُ.»

«سِيزارْيو، أَنْتَ تَعْرِفُ أَنّي أُحِبُّكَ. لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُخْفِيَ حُبّي لَكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ غُرورِكَ وَمِنْ وَلائِكَ لِأورْسِينُو. إِنّي أُحِبُّكَ – أَلا تَشْعُرُ نَحْوي بِالمَحَبَّةِ؟»

«سَيِّدَتي العَزيزَةَ، لَمْ تَحْظَ أَيَّةُ امْرَأَةٍ بِقَلْبي، وَلَنْ تَحْظَى بِهِ أَيَّةُ امْرَأَةٍ أَبَدًا. وَداعًا يا سَيِّدَتي. لَنْ آتيَ إِلَيْكِ مَرَّةً أُخْرَى لِأُخْبِرَكِ عَنْ حُبِّ سَيِّدي لَكِ.»

«وَلَكِنْ رُبَّما تُقْنِعُني فِيما بَعْدُ بِأَنْ أُحِبَّهُ. عُدْ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ فَضْلِكَ.» ثُمَّ انْصَرَفَتْ باكِيَةً.

* * *

قالَ السَّيِّدُ أَنْدرُو أَجْيُوتْشِيك: «لَنْ أَظَلَّ هُنا حَتَّى وَلا لِيَوْمٍ واحِدٍ.» فانْدَهَشَ لِذَلِكَ السَّيِّدُ تُوبِي بِلتْش وَسَأَلَهُ: «لِماذا؟ ما سَبَبُ رَغْبَتِكَ في الرَّحيلِ؟»

«إِنّي أُحِبُّ أُولِيڤْيا ابْنَةَ أَخيكَ.»

وَلَمْ يَفْهَمِ السَّيِّدُ تُوبِي ما يَعْنيهِ فَقالَ: «أَلا يَدْعوكَ هَذا إِلى البَقاءِ؟»

قالَ السَّيِّدُ أَنْدرُو حَزينًا: «لا، لَقَدْ رَأَيْتُها في الحَديقَةِ مَعَ خادِمِ

أُورْسِينُو. إِنَّها تُحِبُّهُ.»

فَفَكَّرَ السَّيِّدُ تُوبِي قَليلًا ثُمَّ سَأَلَهُ: «هَلْ رَأَتْكَ أُولِيڤْيا في الحَديقَةِ؟»

«نَعَمْ.»

«إِذًا فَقَدْ قامَتْ بِذَلِكَ عَمْدًا. لَقَدْ تَظاهَرَتْ بِأَنَّها تُحِبُّ ذَلِكَ الفَتى لِأَنَّها أَرادَتْ أَنْ تَخْتَبِرَ شَجاعَتَكَ. إِنَّها تُحِبُّكَ وَلَكِنَّها تُرِيدُ أَنْ تَتَأَكَّدَ مِنْ شَجاعَتِكَ. عَلَيْكَ أَنْ تَقومَ بِمُبارَزَةِ شَخْصٍ ما. اُطْلُبْ مِنْ ذَلِكَ الفَتى أَنْ يُبارِزَكَ بِسَيْفِهِ.»

اِرْتَعَدَ السَّيِّدُ أَنْدرُو قَليلًا، وَلَكِنَّهُ وافَقَ عَلَى ذَلِكَ، وَتَعَهَّدَ السَّيِّدُ تُوبِي بِأَنْ يُعِدَّ لِهَذِهِ المُبارَزَةِ. وَقالَ لِلسَّيِّدِ أَنْدرُو: «إِنَّكَ سَوْفَ تَكْسِبُها بِسُهولَةٍ.»

تَبِعَ أَنْطُونْيُو سِيباسْتِيان إِلى داخِلِ المَدينَةِ وَقالَ لَهُ: «لَمْ أَسْتَطِعِ البَقاءَ بَعيدًا، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْكَ مِنَ المَتاعِبِ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تُصادِفَها في هَذِهِ المَدينَةِ الغَرِيبَةِ.»

قالَ سِيباسْتِيان: «لَيْسَ في وُسْعي إِلَّا أَنْ أَشْكُرَكَ. حَسَنًا، ماذا يُمْكِنُنا أَنْ نَفْعَلَ؟ هَلْ نَجُولُ بِالمَدينَةِ لِنَرَى أَنْحاءَها؟»

رَدَّ عَلَيْهِ أَنْطُونْيُو قائِلًا: «لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذا تَصَرُّفٌ حَكيمٌ بِالنِّسْبَةِ لي. لَقَدْ حَدَثَ مَرَّةً أَنِ انْتَصَرْتُ عَلَى رِجالِ أُورْسِينُو في قِتالٍ بَحْرِيٍّ، فَإِذا أَمْسَكوا بي هُنا فَلَنْ يَرْأَفوا بِي. سَوْفَ أَذْهَبُ وَأَسْتَأْجِرُ مَكانًا نَأْوِي

إِلَيْهِ في الجُزْءِ الجَنوبِيِّ مِنَ المَدينةِ في فُنْدُقِ إِلفانْت. وَسَوْفَ تَجِدُني هُناكَ، خُذْ نُقودي وَاذْهَبْ وَتَجَوَّلْ بِالمَدينةِ.»

«آخُذُ نُقودَكَ؟ لِماذا؟»

فَرَدَّ أَنطُونْيُو قائِلًا: «قَدْ تَجِدُ شَيْئًا أَنْتَ في حاجةٍ إِلَيْهِ.»

«سَوْفَ أُحافِظُ عَلَى نُقودِكَ، وَسَنَلْتَقي في فُنْدُقِ إِلفانْت في مَدَى ساعةٍ مِنَ الزَّمانِ.»

❋ ❋ ❋

في الوَقْتِ نَفْسِهِ اجْتَمَعَ أَرْبَعةُ أَشْخاصٍ في حَديقةِ أُولِيفْيا. كانَتْ أُولِيفْيا تَسيرُ في الحَديقةِ مَعَ مارِيا، أَمَّا السَّيِّدُ تُوبِي وَالسَّيِّدُ أَنْدرُو فَقَدْ كانا مُخْتَبِئَيْنِ بَيْنَ الشُّجَيْراتِ الكَثيفَةِ.

قالَتْ أُولِيفْيا: «لَقَدْ أَرْسَلْتُ خادِمًا لِيُقْنِعَ الشَّابَّ بِالعَوْدةِ. كَمْ أَتَمَنَّى أَنْ يَعودَ!»

عِنْدَئِذٍ دَخَلَ مالْفُولْيُو إِلى الحَديقةِ، وَكانَ يَرْتَدي مَلابِسَ صَفْراءَ زاهِيةً، وَعَلَى وَجْهِهِ ابْتِسامةٌ عَريضةٌ جَعَلَتْ وَجْهَهُ في غايةِ القُبْحِ.

صاحَ وَهوَ لا يَزالُ يَبْتَسِمُ: «سَيِّدَتي الجَميلةَ! هُوه، هُوه!» صُدِمَتْ أُولِيفْيا لِهَذا التَّصَرُّفِ وَصاحَتْ: «ماذا بِكَ يا مالْفُولْيُو؟»

فَرَدَّ قائِلًا: «الخَطُّ الجَميلُ - نَحْنُ نَعْرِفُ الخَطَّ الجَميلَ.»

فَسَأَلَتْهُ ماريا: «لِماذا تَبْتَسِمُ هَكَذا؟»

قالَ وَهوَ لا يَزالُ يَبْتَسِمُ لِأُولِيڤْيا: «لا تَخَفْ مِنَ العَظَمةِ.» فَلَمْ تَفْهَمْ أُولِيڤْيا ما يَقولُ وَسَأَلَتْهُ: «ماذا تَعْني بِهَذا؟»

«إنَّ البَعْضَ يُولَدونَ عُظَماءَ.»

«أُفٍّ!»

«وَالبَعْضَ يُحَقِّقونَ العَظَمةَ.»

فَزادَ هَذا مِن دَهْشةِ أُولِيڤْيا وَسَأَلَتْهُ: «عَمَّ تَتَحَدَّثُ؟»

فَرَدَّ قائِلًا وَقَد ازْدادَتِ ابْتِسامَتُهُ اتِّساعًا: «وَالبَعْضَ الآخَرَ يَجِدونَ العَظَمَةَ وَقَدْ أُسْبِغَتْ عَلَيْهِمْ.»

شَعَرَتْ أُولِيڤْيا بِالأسى لِما وَصَلَتْ إلَيْهِ حالُ مالْڤُولْيُو، وَقالَتْ: «يا لَلأَسَفِ! هَذا هوَ الجُنونُ بِعَيْنِهِ.»

في تِلْكَ اللَّحْظةِ جاءَ أَحَدُ الخَدَمِ مُسْرِعًا وَقالَ: «سَيِّدَتي، إنَّ الشَّابَّ الَّذي جاءَ مِنْ عِنْدِ السَّيِّدِ أُورْسِينُو قَدْ رَجَعَ. لَقَدْ كانَ مِنَ الصَّعْبِ لِلْغَايةِ أَنْ أُقْنِعَهُ بِالعَوْدةِ وَلَكِنَّهُ فِي البَيْتِ الآنَ.»

قالَتْ أُولِيڤْيا: «سَوْفَ آتي في الحالِ.» ثُمَّ اتَّجَهَتْ إلى ماريا وَقالَتْ مُشيرةً إلى مالْڤُولْيُو: «اعْتَني بِهَذا المِسْكينِ، وَاطْلُبي مِنْ عَمِّي السَّيِّدِ تُوبِي أَنْ يَضَعَهُ في مَكانٍ آمِنٍ.» ثُمَّ أَسْرَعَتْ خارِجةً.

جاءَ السَّيِّدُ تُوبِي مِنْ مَخْبَئِه وَقَدْ تَصَنَّعَ الجِدَّ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ

وَمارِيا كانا يُوشِكانِ أَنْ يَنْفَجِرا مِنَ الضَّحِكِ.

قالَتْ مارِيا: «إن سَيِّدَتي تَطْلُبُ مِنْكَ يا سَيِّدُ تُوبِي أنْ تَرْعَى هَذا المِسْكينَ.»

فَنهَرَها مالْڤُولْيُو قائِلًا: «أُصْمُتي يا امْرَأَةُ، وَاذْهَبْ أَنْتَ» مُوَجِّهًا كَلامَهُ إلى السَّيِّدِ تُوبِي.

قالَ السَّيِّدُ تُوبِي وَهوَ يَتَظاهَرُ بِمُحاوَلَةِ تَهْدِئَتِهِ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، تَعالَ مَعي بِهُدوءٍ. سَوْفَ نَضَعُكَ في غُرْفَةٍ جَميلةٍ مُظْلِمةٍ.» ثُمَّ قامَ - بِمُساعَدةِ بَعْضِ الخَدَمِ - بِجَرِّ مالْڤُولْيُو إلى الدَّاخِلِ.

في جُزْءٍ آخَرَ مِنَ الحَديقةِ كانَتْ أُولِيڤْيا تُوَدِّعُ ڤْيُولا، وَقالَتْ: «خُذْ هَذِهِ الجَوْهَرةَ وَالْبَسْها مِنْ أَجْلي، وَأَرْجُوكَ أَنْ تَعودَ مَرَّةً أُخْرَى غَدًا. لَكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي ما تَشاءُ، وَلَنْ أَرُدَّ لَكَ طَلَبًا.»

«لَيْسَ في وُسْعي إلَّا أَنْ أَطْلُبَ مِنْكِ أَنْ تَمْنَحي سَيِّدي صادِقَ حُبِّكِ.»

لَمْ تَسْعَدْ أُولِيڤْيا بِهَذا الرَّدِّ، وَقالَتْ: «كَيْفَ أَمْنَحُهُ شَيْئًا سَبَقَ لي أَنْ مَنَحْتُكَ إِيَّاهُ؟»

فَقالَتْ ڤْيُولا: «إِنَّني لَمْ أَقْبَلْ حُبَّكِ، وَهُوَ لا يَزالُ مِلْكَكِ لِتَمْنَحيهِ سَيِّدي.»

فَقالَتْ أُولِيڤْيا: «عَلَى أَيِّ حالٍ، تَعالَ غَدًا مَرَّةً أُخْرَى.» ثُمَّ انْصَرَفَتْ حَزينةً إلى مَنْزِلِها.

كانَتْ ڤيُولا قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بابِ الحَديقةِ عِنْدَما أَسْرَعَ السَّيِّدُ تُوبِي إلَيْها. لَقَدْ جاءَ لِيُعِدَّ لِلْمُبارَزةِ. قالَ: «كُنْ مُسْتَعِدًّا لِلدِّفاعِ عَنْ نَفْسِكَ. أَنا لا أَعْرِفُ ماذا فَعَلْتَ فَأَثَرْتَ غَضَبَهُ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تُبارِزَهُ هُنا في الحَديقةِ. اسْتَعِدَّ فَسَوْفَ يَأْتي حالًا. إنَّهُ مُقاتِلٌ مُحَنَّكٌ، وَمُبارِزٌ خَطيرٌ.»

سَأَلَتْهُ ڤيُولا في دَهْشةٍ: «مَنِ الَّذي تَعْنيه؟ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ. أَنا مُتَأَكِّدٌ أَنِّي لَمْ أَتشاجَرْ مَعَ أَحَدٍ.»

فَقالَ السَّيِّدُ تُوبِي: «بَلْ حَدَثَ ذَلِكَ، وَإذا كُنْتَ حَريصًا عَلى حَياتِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تُدافِعَ جَيِّدًا عَنْ نَفْسِكَ.»

«وَلَكِنْ مَنْ هوَ؟»

«إنَّهُ فارِسٌ مُرْعِبٌ في مبارَزَتِهِ. لَقَدْ قَتَلَ ثَلاثةَ أَشْخاصٍ مُنْذُ فَتْرةٍ قَريبةٍ. وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الغَضَبُ حَدًّا جَعَلَهُ مُصَمِّمًا عَلَى قَتْلِكَ.»

ارْتَعَدَت ڤيُولا مِنَ الخَوْفِ، وَقالَتْ: «أَنا لَمْ أَعْتَدِ المُبارَزةَ. وَسَوْفَ أَرْجِعُ إلى داخِلِ البَيْتِ وأَطْلُبُ مِنَ السَّيِّدةِ أَنْ تَحْمِيَني. إنَّ مَعي سَيْفًا وَلكِنِّي لَمْ أَسْتَخْدِمْهُ قَطُّ.»

فَقالَ لَها السَّيِّدُ تُوبِي: «لا تَسْتَطيعُ السَّيِّدةُ أَنْ تَحْمِيَكَ.»

«أَلا يُمْكِنُني عَلَى الأَقَلِّ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ أَغْضَبْتُ هَذا الفارِسَ؟ أَنا مُتَأَكِّدٌ أَنَّ هُناكَ خَطَأً ما.»

فَرَدَّ السَّيِّدُ تُوبِي قائِلًا: «حَسَنًا، سَوْفَ أُحاوِلُ أَنْ أَتَبَيَّنَ الأَمْرَ،

إنَّني أَراهُ هُناكَ. انْتَظِرْ هُنا.» ثُمَّ أَسْرَعَ إلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الحَديقَةِ وَقالَ للسَّيِّدِ أَنْدرُو: «إنَّ الشَّابَّ شَيْطانٌ مارِدٌ. لَقَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ تُريدُ مُبارَزَتَهُ فابْتَهَجَ لِذَلِكَ. إنَّهُ يُحِبُّ المُبارَزةَ وَسَبَقَ لَهُ أَنْ قَتَلَ عَدَدًا مِنَ الأَشْخاصِ.»

لَمْ يَسْعَدْ السَّيِّدُ أَنْدرُو بِهَذا الخَبَرِ عَلَى الإطْلاقِ وَقالَ: «لَنْ أُبارِزَ أَحَدًا.»

«وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تُبارِزَهُ الآنَ. إنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلَى مُبارَزَتِكَ.» وَهَكَذا تَقَدَّمَ السَّيِّدُ أَنْدرُو وَهوَ يَرْتَعِدُ وَسَيْفُهُ في يَدِهِ لِيُصْبِحَ وَجْهًا لِوَجْهٍ مَعَ ڤَيُولا وَهِيَ تَرْتَعِدُ وَقَدْ جَرَّدَتْ سَيْفَها (أَخْرَجَتْهُ مِنْ غِمْدِهِ).

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ جاءَ أَنْطُونْيُو إلى الحَديقَةِ وَصاحَ قائِلًا: «مَهْلًا! إذا كانَ هَذا الشَّابُّ قَدْ ضايَقَكَ فَبارِزْني بَدَلًا مِنْهُ، وَإذا كُنْتَ أَنْتَ قَدْ ضايَقْتَهُ فَعَلَيْكَ أَنْ تُدافِعَ عَنْ نَفْسِكَ، فَسَوْفَ أَقومُ أَنا بِمُبارَزَتِكَ.» وَوَقَفَ مُسْتَعِدًّا لِلْمُبارَزةِ وَسَيْفُهُ في يَدِهِ.

لَكِنْ حَدَثَ أَنْ جاءَ بَعْضُ الجُنودِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ.

قالَ أَحَدُهُمْ: «أَنْطُونْيُو، عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعنا. نَحْنُ جُنودُ أُورْسِينُو.»

فَقالَ لَهُمْ أَنْطُونْيُو: «أَنْتُمْ مُخْطِئُونَ.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ جُنْدِيٌّ آخَرُ: «لا! أَنا أَعْرِفُكَ جَيِّدًا. أَنْتَ لا تَلْبَسُ الآنَ قُبَّعَةَ الرُّبَّانِ، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ وَجْهَكَ جَيِّدًا. فَتَعالَ مَعَنا.»

اِتَّجَهَ أَنْطُونْيُو إلى ڤَيُولا وَقالَ: «يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُطيعَ، وَلِهَذا



فَسَوْفَ أَحْتاجُ إلى بَعضِ تِلْكَ النُّقودِ.»

دَهِشَتْ ڤِيُولا وَسَأَلَتْهُ: «أَيَّةُ نُقودٍ؟ أَنا شاكِرٌ لَكَ لِأَنَّكَ أَرَدْتَ مُساعَدَتي. لَيْسَ مَعي إلَّا قَليلٌ مِنَ النُّقودِ. وَسَوْفَ يَسُرُّني أَنْ أُقْرِضَكَ نِصْفَها.»

فَقالَ أَنْطونْيُو: «هَلْ تَتَظاهَرُ بِأَنَّكَ لا تَعْرِفُني. هَلْ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُذَكِّرَكَ بِما قُمْتُ بِهِ مِنْ أَجْلِكَ. هَلْ نَسيتَ يا سِيباسْتِيان أَنِّي أَنْقَذْتُ حَياتَكَ وَرَعَيْتُكَ بِحُبٍّ وَعِنايَةٍ. إنَّ هَذا الجُحودَ أَقْسَى شَيْءٍ صادَفْتُهُ. تَعالَوْا أَيُّها الجُنودُ. خُذُوني.»

وَمَضى أَنْطُونْيُو في كِبْرِياءَ مَعَ جُنودِ أُورْسِينُو.

زادَ ذَلِكَ مِنِ اضْطِرابِ ڤِيُولا، وَبَدَأَتْ تَرْتَعِدُ وَقالَتْ لِنَفْسِها: «سِيباسْتِيان! لَقَدْ ناداني سِيباسْتِيان. أَنا أَعْرِفُ أَنِّي أُشْبِهُ أَخي، وَأَنِّي وَأَنا أَلْبَسُ مَلابِسَ الرِّجالِ أُقَلِّدُهُ في مِشْيَتِهِ وَسُلوكِهِ وَطَريقَةِ كَلامِهِ. أَلا يَزالُ حَيًّا؟ إذا كانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّ العَواصِفَ خَيِّرَةٌ، وَأَمْواجَ البَحْرِ المالِحَةَ لَتَعْرِفُ حَلاوَةَ الحُبِّ.»

واصَلَتْ ڤِيُولا سَيْرَها وَهِيَ في غايَةِ الحَيْرَةِ.

هَمَسَ السَّيِّدُ تُوبِي في أُذُنِ السَّيِّدِ أَنْدرُو: «إنَّ الوَلَدَ جَبانٌ. لَقَدْ واجَهَ صَديقُهُ بَعْضَ المَتاعِبِ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ لِمُساعَدَتِهِ. وَقَدِ ارْتَعَدَ هوَ عِنْدَما رَأَى سَيْفَكَ.»

فَقالَ السَّيِّدُ أَنْدرُو: «تَقولُ إنَّهُ جَبانٌ؟ سَوْفَ أَتْبَعُهُ وَأَهْزِمُهُ.»

كانَ فِسْتا يَتَحَدَّثُ إلى سِيباسْتِيان خارِجَ بَوَّابَةِ بَيْتِ أُولِيڤْيا.

سَأَلَهُ فِسْتا: «هَلْ تُحاوِلُ أَنْ تُقْنِعَني بِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يُرْسِلْني لِأُحْضِرَكَ؟»

فَرَدَّ سِيباسْتِيان قائِلًا: «اصْمُتْ أَيُّها الأَحْمَقُ.»

ضَحِكَ فِسْتا وقالَ: «إِنَّكَ تُحْسِنُ التَّظاهُرَ. أَنا لا أَعْرِفُكَ بِالطَّبْعِ، وَلَمْ تُرْسِلْني سَيِّدَتي لِأُنادِيَكَ كَيْ تُحادِثَكَ. وَاسْمُكَ لَيْسَ سِيزارْيو. وَهَذا الشَّيءُ الَّذي يَتَوَسَّطُ وَجْهي لَيْسَ بِأَنْفي.»

عِنْدَئِذٍ جاءَ السَّيِّدُ أَنْدرُو وَالسَّيِّدُ تُوبِي خارِجَيْنِ مِنَ الحَديقَةِ.

قالَ السَّيِّدُ أَنْدرُو: «آهٍ! ها أَنْتَ ذا، خُذْ هَذِهِ.» وَضَرَبَ سِيباسْتِيان، فَقالَ سِيباسْتِيان: «حَسَنًا، وَهَذِهِ لَكَ – خُذْ هَذِهِ وَهَذِهِ وهَذِهِ! ما هَذا؟ هَلْ كُلُّ النَّاسِ هُنا مَجانِينُ؟» وَأَخَذَ يَكيلُ الضَّرباتِ لِلسَّيِّدِ أَنْدرُو المِسْكينِ حَتَّى جاءَ السَّيِّدُ تُوبِي وَأَمْسَكَ بِذِراعِ سِيباسْتِيان.

أَسْرَعَ فِسْتا لِيُخْبِرَ أُولِيڤْيا بِما حَدَثَ. أَمَّا سِيباسْتِيان فَقَدْ حَرَّرَ نَفْسَهُ مِنْ قَبْضَةِ السَّيِّدِ تُوبِي، وَوَقَفَ الاثْنانِ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَقَدْ أَمْسَكَ كُلٌّ مِنْهُما بِسَيْفِهِ، وَعِنْدَئِذٍ خَرَجَتْ أُولِيڤْيا.

قالَتْ أُولِيڤْيا: «تَوَقَّفْ يا تُوبِي. لِماذا تُسيءُ التَّصَرُّفَ دائِمًا هَكَذا؟ أُغْرُبْ عَنْ وَجْهي! اذْهَبْ!» ثُمَّ اتَّجَهَتْ إلى سِيباسْتِيان قائِلَةً: «أَرْجُوكَ أَنْ تُسامِحَهُما يا عَزيزي سِيزارْيو. إِنَّ عَمِّي أَشْبَهُ بِالوَلَدِ السَّيِّئِ السُّلوكِ. تعالَ نَدْخُلِ البَيْتَ وَسَوْفَ أُروِّحُ عَنْكَ.»

قالَ سِيباسْتِيان لِنَفْسِهِ وَقَدْ أَخَذَتِ الدَّهْشَةُ مِنْهُ كُلَّ مَأْخَذٍ:

«أَحْلُمٌ هَذا أَم حَقيقةٌ؟ إذا كُنْتُ أَحْلُمُ فَإِنّي لا أُريدُ أَنْ أَسْتَيْقِظَ.»
ثُمَّ تَبعَ أُوليڤْيا الجَميلةَ إلى داخِلِ المَنْزِلِ.

* * *

عِنْدَما خَرَجَ سِيباسْتِيان مِنَ المَنْزِلِ إلى الحَديقةِ كانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلًا: «هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكونَ هَذا قَدْ حَدَثَ فِعْلًا؟ هَذا هوَ الهَواءُ؛ وَتِلْكَ هَي الشَّمْسُ الرَّائِعةُ؛ وَهَذِهِ هيَ الجَوْهَرةُ الَّتي أَعْطَتْنِيها؛ إنّي أَلْـمُسُها وَأَراها بِعَيْنَيّ. إنَّ لَدَيَّ أَسْئِلةً كَثيرةً في حاجةٍ إلى جَوابٍ، وَلكِنّي لَسْتُ مَجْنونًا. أَيْنَ أَنْطُونْيُو؟ إنَّني لَمْ أَجِدْهُ في فُنْدُقِ إلِفانْت رَغْمَ أَنَّهُ كانَ هُناكَ. لَقَدْ قالوا لي إنَّهُ ذَهَبَ يَبْحَثُ عَنّي. لَو كانَ هُنا لَالْتَمَسْتُ مِنْهُ النَّصيحةَ. لا بُدَّ أَنَّ أَحَدَنا مَجْنونٌ. إمَّا أَنا وَإمَّا تِلْكَ السَّيِّدةَ. وَلَكِنْ لَوْ كانَتْ مَجْنونةً لَما أَمْكَنَها أَنْ تُسَيْطِرَ عَلَى بَيْتِها بِهَذِهِ الصّورةِ، وَأَنْ تُصْدِرَ الأوامِرَ لِخَدَمِها بِهَذا الهُدُوءِ وَهَذا الحَزْمِ. إنّي لا أَفْهَمُ ما يَدورُ هُنا.»

عِنْدَئِذٍ جاءَتْ أُوليڤْيا إلى الحَديقةِ وَمَعَها رَجُلُ الدِّينِ.

قالَتْ: «أَرْجُو أَلّا تُغْضِبَكَ سُرْعَتي. هَلْ تَعِدُني أَمامَ رَجُلِ الدِّينِ هَذا بِالزَّواجِ بي؟ إنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَسَوْفَ يَرْتَاحُ قَلْبي. إنَّ رَجُلَ الدّينِ سَوْفَ يَحْتَفِظُ بِوَعْدِكَ لي سِرًّا حَتَّى تَتَحَيَّنَ الوَقْتَ المُناسِبَ لِتُطْلِعَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَئِذٍ سَوفَ نَتَزَوَّجُ بِاحْتِفالٍ مَعْقولٍ. هَلْ تُوافِقُ؟»

فَنَظَرَ سِيباسْتِيان إلى وَجْهِها الجَميلِ وَقالَ: «نَعَمْ:



تَـــقَـــدَّمْ أَيَـــا عَـــمُّ إِنّـــي مَـعَـكْ
وَسـيـري، قَـضـى الـقَـلْـبُ أَنْ أَتْـبَـعَـكْ
سَـــأُقْـسِـــمُ أَنْ سَـــأَكُـــونُ الـــوَفِـــيَّ
وَأَقْـضـــي الـحَـيـاةَ سَـعـيـدًا مَـعَـكْ»

* * *

كانَ أُورْسِينُو وَفْيُولا وَمَعَهُما عَدَدٌ مِنْ تابِعي أُورْسِينُو يَسيرونَ مُتَّجِهينَ إلى بابِ مَنْزِلِ أُولِيفْيا فَرَأَوا فِسْتا بِالبابِ وَمَعَهُ خادِمٌ آخَرُ.

فَسَأَلَهُ أُورْسِينُو: «هَلْ تَعْمَلُ عِنْدَ السَّيِّدةِ أُولِيفْيا؟»

فَاسْتَدارَ فِسْتا قائِلًا: «نَعَمْ يا سَيِّدي.»

قالَ أُورْسِينُو: «أَنا أَذْكُرُكَ الآنَ أَيُّها الصَّديقُ. كَيْفَ حالُكَ؟»

«لَيْسَ عَلى ما يُرامُ، وَلَكِنَّ عِلاجَ مَرَضِي مَوْجودٌ في جَيْبِكَ؟»

فَأَعْطاهُ أُورْسِينُو بَعْضَ قِطَعِ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ وَقالَ لَهُ: «لَدَيَّ المَزيدُ إذا ذَهَبْتَ لِسَيِّدَتِكَ وَأَخْبَرْتَها بِوُجودي هُنا، وَأَقْنَعْتَها بِأَنْ تَسْتَقْبِلَني.»

فَدَخَلَ فِسْتا إلى البَيْتِ قائِلًا: «لَسْتُ طَمَّاعًا، وَسَوْفَ أُحاوِلُ مُساعَدَتَكَ، أَمَّا عَنِ الذَّهَبِ فَقَدْ يَأْتي بَعْدَ ذَلِكَ.»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَصَلَ الجُنودُ وَمَعَهُمْ أَنْطُونْيُو فَصاحَتْ فْيُولا: «هَذا هوَ الرَّجُلُ الَّذي أَنْقَذَني يا سَيِّدي.»

فَنَظَرَ أُورْسِينو إلى أَنْطُونْيُو وَقالَ: «إنِّي أَذْكُرُ وَجْهَهُ جَيِّدًا، وَلكِنْ عِنْدَما رَأَيْتُهُ آخِرَ مَرَّةٍ كانَ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مِنْ دُخانِ الحَرْبِ. لَقَدْ كانَ رُبّانًا لِسَفينَةٍ بِها عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ المَدافِعِ، وَلكِنَّهُ تَمَكَّنَ بِسَفينَتِهِ الصَّغيرَةِ هذِهِ أَنْ يُهاجِمَ أَكْبَرَ سُفُنِي الحَرْبِيَّةِ وأَشَدَّها قُوَّةً. إنِّي أُجِلُّهُ وَأَحْتَرِمُهُ لِذلِكَ. لِماذا قَبَضْتُمْ عَلَيْهِ؟»

فَرَدَّ أَحَدُ الجُنودِ قائِلًا: «هذا هوَ أَنْطُونْيُو الرُّبّانُ الَّذي حارَبَ سَفينَتَيْنِ مِنْ سُفُنِكَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِما. لَقَدْ وَجَدْناهُ هُنا وَقَدِ اسْتَلَّ سَيْفَهُ في إحْدى المُبارَزاتِ.»

قالَتْ ڤيُولا: «إنَّهُ كانَ يُساعِدُني يا سَيِّدي، وَقَدِ اسْتَلَّ سَيْفَهُ لِيُدافِعَ عَنِّي، ولكِنَّهُ تَحَدَّثَ إلَيَّ بَعْدَ ذلِكَ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ لَمْ أَفْهَمْها قَطُّ.»

وَجَّهَ أُورْسِينُو كَلامَهُ إلى أَنْطُونْيُو قائِلًا: «أَيَّةُ حَماقَةٍ تِلْكَ الَّتي جاءَتْ بِكَ إلى قَوْمٍ جَعَلْتَ مِنْهُمْ أَعْداءً لَكَ بِما قُمْتَ بِهِ مِنْ أَعْمالٍ شُجاعَةٍ!»

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَنْطُونْيُو: «أَيْ أُورْسِينُو النَّبيلُ، أَعْتَرِفُ بِأَنِّي كُنْتُ عَدُوًّا لَكَ، وَلكِنِّي لَمْ أَكُنْ قُرْصانًا قَطُّ. لَقَدْ جِئْتُ إلى هُنا بِسَبَبِ سِحْرٍ شِرِّيرٍ. أَنا الَّذي أَنْقَذَ حَياةَ ذلِكَ الوَلَدِ العاقِّ الَّذي يَقِفُ إلى جِوارِكَ. لَقَدِ انْتَشَلْتُهُ مِنَ البَحْرِ الصّاخِبِ العاصِفِ؛ لَقَدْ كانَ عَلَى شَفا المَوْتِ، فَرَعَيْتُهُ حَتَّى اسْتَرَدَّ قُواهُ - وَأَحْبَبْتُهُ كَما لَوْ كانَ ابْني، وَمِنْ أَجْلِهِ جِئْتُ إلى هُنا وَسْطَ أَعْدائي. لَقَدْ جَرَّدْتُ سَيْفي لِأُدافِعَ عَنْهُ عِنْدَما هُوجِمَ، ثُمَّ ماذا حَدَثَ بَعْدَ ذلِكَ؟ لَقَدِ ادَّعَى أَنَّهُ لا يَعْرِفُني.

بَلْ إِنَّهُ رَفَضَ أَنْ يُعْطِيَنِي نُقودي الَّتي أَقْرَضْتُهُ إِيَّاها قَبْلَ ذٰلِكَ بِنِصْفِ ساعةٍ فَقَطْ.»

شَعَرَتْ ڤِيُولا بِالأَسَى وَقالَتْ: «أَنا لا أَفْهَمُ هذا.»

فَسَأَلَ أُورْسِينُو أَنْطُونْيُو: «مَتَى جاءَ هذا الشَّابُّ إلى مَدينَتِنا؟»

«اليومَ يا سَيِّدي، وَقَبْلَ ذٰلِكَ لَمْ نَفْتَرِقْ طَوالَ الأَشْهُرِ الثَّلاثَةِ الماضيةِ.»

خَرَجَتْ أُولِيڤْيا وَاتَّجَهَتْ نَحْوَهُمْ وَمَعَها بَعْضُ الخَدَمِ. فَقالَ أُورْسِينُو: «ها هِيَ ذي السَّيِّدَةُ أُولِيڤْيا قادِمَةٌ. إِنَّها نَجْمَةٌ مِنَ السَّماءِ نَزَلَتْ مِنْ عَلْيائِهَا وَتَسيرُ عَلى الأَرْضِ.» ثُمَّ اتَّجَهَ إلى أَنْطُونْيُو قائِلًا: «أَيُّها الرَّجُلُ، إِنَّ ما تَقولُهُ هُوَ الجُنونُ بِعَيْنِهِ. لَقَدْ كانَ هذا الشَّابُّ في قَصْرِي طَوالَ الأَشْهُرِ الثَّلاثَةِ الماضيةِ.»

صاحَتْ أُولِيڤْيا: «لِماذا أَنْتَ هُنا يا سِيزارْيو؟ هَلْ نَسِيتَ وَعْدَكَ؟» فَسَأَلَتْ ڤِيُولا: «ما المَوْضُوعُ؟ أَيُّ وَعْدٍ؟»
«أَلَمْ تَعِدْ بِأَنْ تُصْبِحَ زَوْجي.»

فاسْتَدارَ أُورْسِينُو نَحْوَ ڤِيُولا قائِلًا: «زَوْجُها يا فَتى؟ ماذا يَعْني هذا؟»
«أَنا لَسْتُ زَوْجَها.»

فَقالَتْ أُولِيڤْيا: «أَيْ سِيزارْيو لا تَخَفْ، قُلِ الحَقيقَةَ وَأَظْهِرْ عَظَمَتَكَ لِلْمَلَإِ.» ثُمَّ رَأَتْ رَجُلَ الدِّينِ مُقْبِلًا مِنْ ناحِيَةِ البَيْتِ فَقالَتْ

لَهُ: «يَسُرُّني أَنَّكَ قَدْ حَضَرْتَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّنا اتَّفَقْنا على أَنْ يَظَلَّ الأَمْرُ سِرًّا، إِلَّا أَنَّ الوَقْتَ قَدْ حانَ لإِعْلانِهِ. أَرْجو أَنْ تُخْبِرَ السَّيِّدَ أُورْسِينُو بِما حَدَثَ أَخيرًا.»

نَظَرَ رَجُلُ الدِّينِ إِلى ڤِيُولا وَقالَ: «لَقَدْ أَعْطَى هذا الشَّابُّ وَعْدًا قاطِعًا بِأَنْ يَتَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ أُولِيڤْيا.»

أَعْقَبَتْ ذلِكَ لَحْظَةٌ مِنَ الصَّمْتِ الرَّهيبِ، وَلكِنْ سَرْعانَ ما انْقَطَعَ هذا الصَّمْتُ عِنْدَما أَقْبَلَ السَّيِّدُ أَنْدرُو وَالدِّماءُ تَسيلُ عَلَى خَدِّهِ وَصاحَ قائِلًا: «الطَّبيبَ، الطَّبيبَ! نادوا الطَّبيبَ. أَرْسِلوا الطَّبيبَ لِلسَّيِّدِ تُوبِي بِسُرْعةٍ.»

فَسَأَلَتْ أُولِيڤْيا: «ماذا حَدَثَ؟»

«لَقَدْ ضَرَبَني عَلَى رَأْسي كَما ضَرَبَ السَّيِّدَ تُوبِي بِصورةٍ أَشَدَّ. النَّجْدةَ!»

فَسَأَلَتْهُ أُولِيڤْيا: «مَنِ الَّذي فَعَلَ هَذا؟»

«سِيزارْيو، رَجُلُ السَّيِّدِ أُورْسِينُو. كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ جَبانٌ.»

فَدَهِشَ أُورْسِينُو لِهذا الرَّدِّ وَقالَ: «سِيزارْيو رَجُلي؟!» وَوَقَعَتْ عَيْنا السَّيِّدِ أَنْدرُو عَلَى ڤِيُولا فَتَراجَعَ إِلى الخَلْفِ قائِلًا: «لَقَدْ ضَرَبَني دونَ ذَنْبٍ مِنّي. إِنَّ السَّيِّدَ تُوبِي هُوَ الَّذي طَلَبَ مِنّي أَنْ أَفْعَلَ ما فَعَلْتُهُ.»

لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعةِ ڤِيُولا أَنْ تَجِدَ تَفْسيرًا لِكُلِّ هذِهِ الأَحْداثِ. فَقالَتْ «لِماذا تَلومُني. أَنا لَمْ أَضُرَّكَ قَطُّ. لَقَدْ جَرَّدْتَ سَيْفَكَ وَأَرَدْتَ

أَنْ تُبارِزَني. وَلكِنِّي لَمْ أُلْحِقْ بِكَ أَيَّ ضَرَرٍ.»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ جاءَ السَّيِّدُ تُوبِي، وَكانَ الدَّمُ يَسيلُ عَلَى وَجْهِهِ بِغَزارةٍ أَكْثَرَ مِنَ السَّيِّدِ أَنْدرُو، وَلكِنَّ إصابَتَهُ لَمْ تكُنْ خَطيرةً.

كانَ فِسْتا يَنْظُرُ إلى ما حَدَثَ وَكَأَنَّهُ أَمْرٌ مُثيرٌ لِلضَّحِكِ. قالَتْ أُوليڤْيا: «خُذْهُ إلى الفِراشِ وَأَحْضِرْ طَبيبًا لِيُعالِجَهُ هوَ وَالسَّيِّدُ أَنْدرُو.» فَأَخَذَ فِسْتا الفارِسَيْنِ التَّعيسَيْنِ وَمَضى بِهِما.

كانَ كُلُّ واحِدٍ يَنْظُرُ إلى الآخَرينَ في انْتِظارِ تَفْسيرٍ لِهذِهِ الأَحْداثِ، إلى أن ظهر سِيباسْتِيان الَّذي اتَّجَهَ رَأْسًا إلى أُولِيڤْيا وَأَمْسَكَ بِيَدِها قائِلًا: «أنا في غايةِ الأَسَفِ يا سَيِّدَتي. لَقَدْ آذَيْتُ عَمَّكِ وَلكِنْ كانَ ذلِكَ أَمْرًا ضَروريًّا لِسَلامَتي. إنِّي أَرَى الغَضَبَ في نَظَراتِكِ إلَيَّ. سامِحيني أَيَّتُها الجَميلةُ! سامِحيني مِنْ أَجْلِ العُهُودِ الَّتي قَطَعْناها أَخيرًا!»

نَظَرَ كُلٌّ مِنْ أُولِيڤْيا وَأُورْسِينُو إلى ڤِيُولا ثُمَّ عادا بنَظَرِهِما إلى سِيباسْتِيان مَرَّةً أُخْرَى. لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَتِهِما أَنْ يُصَدِّقا أَعْيُنَهُما. أَمّا سِيباسْتِيان فَقَدْ رَكَّزَ نَظَرَهُ عَلَى أُولِيڤْيا دونَ سِواها.

وَأخيرًا تَكَلَّمَ أُورْسِينُو، فَقالَ: «وَجْهٌ واحِدٌ وَصَوتٌ واحِدٌ وَأُسْلوبُ لِباسٍ واحِدٌ وَشَخْصانِ مُخْتَلِفانِ. هذا مُسْتَحيلٌ.»

أَمّا أُولِيڤْيا فَقَدْ عَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَها وَلَمْ تَفُهْ (تَنْطِقْ) بِشَيْءٍ، وَفَجْأَةً وَقَعَ نَظَرُ سِيباسْتِيان عَلَى أَنْطُونيُو فَقالَ في دَهْشةٍ: «أَنْطُونْيُو! أَيْ أَنْطُونْيُو! لَقَدْ كُنْتُ قَلِقًا عَلَيْكَ. كانَتْ عَيْنا أَنْطُونْيُو تُعَبِّرانِ عَنْ بالِغِ

دَهْشَتِهِ وَقالَ: «هَلْ أَنْتَ سِيباسْتِيان؟»
«كَيْفَ تَشُكُّ في ذلِكَ يا أَنْطُونْيُو»
فَسَأَلَهُ أَنْطُونْيُو: «وَلكِنْ كَيْفَ شَطَرْتَ نَفْسَكَ شَطْرَيْنِ؟!»
وَجالَ بِنَظَرِهِ بَيْنَ سِيباسْتِيان وَفْيُولا.
هَمَسَتْ أُولِيفْيا: «هذا أَمْرٌ لا يُمْكِنُ تَصْديقُهُ.»

وَعِنْدَئِذٍ نَظَرَ سِيباسْتِيان إلى فْيُولا فَاتَّسَعَتْ عَيْناهُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَصاحَ: «أَحَقًّا أَنا واقِفٌ هُنا؟ أَنا لَمْ يَكُنْ لي أَخٌ قَطُّ - لَقَدْ كانَتْ لي أُخْتٌ، وَلكِنَّ الأَمْواجَ القاسيةَ أَغْرَقَتْها. أَرْجُوكَ قُلْ لي مَنْ أَنْتَ.»

فَأَجابَتْهُ فْيُولا: «لَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ مِسّالِين. وَكانَ اسْمُ أَبي سِيباسْتِيان كَما كانَ اسْمُ أَخي سِيباسْتِيان كَذلِكَ. كانَ يُشْبِهُكَ تَمامًا - وَلكِنَّهُ ماتَ. لَقَدْ أَغْرَقَتْهُ عاصِفَةٌ عاتِيَةٌ.»

فَقالَ سِيباسْتِيان: «لَوْ كُنْتَ فَتاةً لَضَمَمْتُكَ بَيْنَ ذِراعَيَّ وَجَعَلْتُ دُموعي تَسيلُ عَلى خَدِّكَ، وَصِحْتُ مَرْحَبًا بِكِ إلى الحَياةِ يا عَزيزَتي فْيُولا.»

فَغَمَرَتِ الفَرْحَةُ فْيُولا وَقالَتْ: «إذا كانَ الزِّيُّ النِّسائِيُّ هوَ كُلَّ ما يَلْزَمُ لِيَجْعَلَنا سَعيدَيْنِ فَإِنَّ مَلابِسِيَ النِّسائِيَّةَ لَيْسَتْ بَعيدةً. أَنا فْيُولا وَملابِسي مَوْجودةٌ مَعَ رُبّانٍ بَحْرِيٍّ أَنْقَذَني مِنَ العاصِفَةِ. لَقَدْ ساعَدَني عَلى ارْتِداءِ هذا الزِّيِّ وَعَلى أَنْ أُصْبِحَ تابِعًا لِهذا السَّيِّدِ وَكانَ مُعْظَمُ العَمَلِ الَّذي كَلَّفَني بِهِ مَقْصورًا عَلى أَنْ أَحْمِلَ الرَّسائِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هذِهِ السَّيِّدةِ.»



فَأَمْسَكَ سِيباسْتِيان بِيَدِ أُولِيڤْيا مَرَّةً أُخْرَى وَقالَ: «إذًا فَهذا هوَ الَّذي جَعَلَكِ تَقَعينَ في الخَطَإِ يا سَيِّدَتي، وَلكِنِّي مَسْرورٌ. إنَّ يَدَ الأَقْدارِ قَدْ تَدَخَّلَتْ لِتَنالِي وَعْدًا بِالزَّواجِ لا مِنْ فَتاةٍ بَلْ مِنْ رَجُلٍ سَيُحِبُّكِ حُبًّا صادِقًا.»

فَقالَ أُورْسِينُو: «نَعَمْ يا أُولِيڤْيا. سَوْفَ يَكونُ زَوْجًا مُخْلِصًا لَكِ وَأَنا أَعْرِفُ عائِلَتَهُ. إنَّها عائِلَةٌ نَبيلَةٌ.» ثُمَّ أَمْسَكَ بِيَدِ ڤِيُولا وَقالَ: «سَوْفَ أُشارِكُ في هذِهِ السَّعادَةِ النَّاجِمَةِ عَنْ هذا التَّغَيُّرِ الجِذْرِيِّ في الأَوْضاعِ. لَقَدْ أَخْبَرْتِني وَأَنْتِ مُتَقَمِّصَةٌ شَخْصِيَّةَ سِيزارْيو أَنَّكِ لَنْ تُحِبّي أَيَّةَ امْرَأَةٍ إلَّا إذا كانَتْ تُشْبِهُني. فَهَلْ لَكِ أَنْ تُحِبِّيني وَتُصْبِحي زَوْجَتي؟»

عِنْدَئِذٍ جاءَ فِسْتا بِخِطابٍ مِنْ مالْڤُولْيُو يَشْكو فيهِ أَنَّهُ حُبِسَ ظُلْمًا في غُرْفَةٍ مُظْلِمَةٍ. فَلَمّا قَرَأَتْ أُولِيڤْيا الخِطابَ أَرْسَلَتْ أَحَدَ خَدَمِها لِيُحْضِرَ مالْڤُولْيُو.

في هذِهِ الأَثْناءِ كانَ أُورْسِينُو يَقولُ لِڤِيُولا: «سَأَسْتَمِرُّ في مُناداتِكِ باسْمِ سِيزارْيو ما دُمْتِ تَرْتَدينَ مَلابِسَ الرِّجالِ هذِهِ. لَقَدْ قُمْتِ بِعَمَلٍ في غايَةِ الصُّعوبَةِ. وَبِما أَنَّكِ كُنْتِ تَعْتَبِرينَني سَيِّدَكِ، فَهذِهِ يَدي أَمُدُّها لَكِ. وَمِنْ هذِهِ اللَّحْظَةِ سَوْفَ تُصْبِحينَ سَيِّدَةَ سَيِّدِكِ.»

أَضافَتْ أُولِيڤْيا: «كَما سَتُصْبِحينَ أُخْتِيَ العَزيزَةَ الغالِيَةَ.» وعِنْدَئِذٍ أَقْبَلَ مالْڤُولْيُو وَقالَ لأُولِيڤْيا: «سَيِّدَتي، لَقَدْ أَسَأْتِ إلَيَّ أَبْلَغَ إساءَةٍ.»

هَلْ حَدَثَ هذا مِنِّي يا مالْڤُولْيُو؟ لا لَمْ يَحْدُثْ.»

«سَيِّدَتي، لَقَدْ أَسَأْتِ إِلَيَّ.» ثُمَّ أَراها خِطابَ مارِيا. فَلَمَّا قَرَأَتْ أُولِيڤْيا الخِطابَ قالَتْ: «آهٍ! يا مالْڤُولْيُو الطَّيِّبُ، لَيْسَ هذا خَطِّي، وَإِنْ كانَ قَريبَ الشَّبَهِ بِهِ. هذا خَطُّ مارِيا. أَيْنَ هِيَ؟»

فَالْتَمَسَ فِسْتا مِنْ أُولِيڤْيا أَنْ تَصْفَحَ عَنْ مارِيا. وَقالَ: «يَجِبُ أَلّا نَغْضَبَ الآنَ. إِنَّ السَّيِّدَ تُوبِي وَأَنا قَدْ أَقْنَعْنا مارِيا أَنْ تَقومَ بِكِتابَةِ الخِطابِ، وَقَدْ تَزَوَّجَها السَّيِّدُ تُوبِي مُكافَأَةً لَها عَلَى ذلِكَ. وَعَلَى أَيَّةِ حالٍ فَقَدْ كانَ مالْڤُولْيُو غَيْرَ مُنْصِفٍ في مُعامَلَتِهِ لَنا. وَلَمْ نَكُنْ نَحْنُ مُنْصِفينَ حِينَمَا قُمْنا بِهذِهِ الخُدْعَةِ لَهُ، وَلكِنْ تَذَكَّري ما كانَ قَدْ قالَهُ لَكِ ثُمَّ أَضافَ مُقَلِّدًا مالْڤُولْيُو بِإِتْقانٍ. «إِنِّي مُنْدَهِشٌ يا سَيِّدَتي أَنَّكِ تَسْمَحينَ لِمِثْلِ هذا الغَبِيِّ بِأَنْ يَتَصَرَّفَ بِهذِهِ الصُّورَةِ.»

أَمّا مالْڤُولْيُو فَقَدْ غادَرَ المَكانَ غاضِبًا وَأَعْلَنَ أَنَّهُ سَوْفَ يَقومُ بِمُعاقَبَةِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ.

فَقالَتْ أُولِيڤْيا: «لَقَدْ سَخِرْتُمْ مِنْهُ بِقَسْوَةٍ.»

قالَ أُورْسِينُو: «فَلْيَذْهَبْ بَعْضُكُمْ لِتَهْدِئَتِهِ، أَمّا نَحْنُ فَلْنَدْخُلْ جَميعًا إِلى البَيْتِ إِذْ لَدَيْنا الكَثيرُ مِمّا نُريدُ أَنْ نَحْكِيَهُ بَعْضُنا لِبَعْضٍ. وَعِنْدَما نَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ سَوْفَ نَعْقِدُ قِرانًا مُزْدَوِجًا في الوَقْتِ المُناسِبِ: أُولِيڤْيا وَحَبيبُها سِيباسْتِيان وَأُورْسِينُو وَحَبيبَتُهُ.. سِيزارْيو!»

ثُمَّ ذَهَبوا جَميعًا وَتَرَكوا فِسْتا يُغَنّي إِحْدى أَغانيهِ.



تَرْويضُ الشَّرِسَةِ

حَدَثَ هذا في أَوَّلِ يَوْم مِنْ أَيّامِ زِيارةِ لُوسِنْشِيو لِمَدينةِ بادُوَا الإِيطالِيَّةِ الجَميلةِ، حَيْثُ كانَ يَتَمشّى مَعَ تابعِهِ ترانْيُو في شوارِعِ المَدينةِ يُشاهِدانِ مَبانيَها. وَأَثْناءَ تَجْوالِهِما تَوَقَّفا عِنْدَ مَدْخَلِ جامعةِ بادُوَا الشَّهيرةِ، وَقالَ لُوسِنْشِيُو لِتابِعِهِ: «لَيْسَ في مَدينتِنا بيزَا مَثيلٌ لِهذِهِ الجامِعةِ العَظيمةِ. وَهذا هُوَ السَّبَبُ الَّذي جَعَلَ أَبي ڤِنْسِينْشِيُو يَحُثُّني عَلى المَجيءِ إلى هُنا لِلدِّراسةِ.»

رَدَّ عَلَيْهِ ترانْيُو قائلًا: «نَعَمْ يا سَيِّدي العَزيزَ. وَلكِنِّي آمُلُ أَنْ تَحْيا هُنا حَياةً تَليقُ بِصِفَتِكَ ابنًا لِذلِكَ الثَّرِيِّ المَشْهورِ ڤِنْسِينْشِيُو. لَيْسَ هُناكَ ما يَدْعو لِأَنْ تَحْيا حَياةَ طالِبٍ فَقيرٍ.»

وَافقَهُ لُوسِنْشِيُو قائلًا: «بِمُجَرَّدِ أَنْ تَصِلَ حَقائِبي سَنَسْتَأْجِرُ بَيْتًا مُناسِبًا، وَلكِنْ ما هذا؟»

تَوَقَّفَ لُوسِنْشِيُو وَترانْيُو وَهُما يُشاهِدانِ اقْتِرابَ مَجْموعةٍ غَريبةٍ مِنَ الأَفْرادِ ما لَبِثَتْ أَنْ تَوَقَّفَتْ بِجِوارِ مَدْخَلِ الجامِعةِ دُونَ أَنْ تَلْحَظَ وُجودَهُما هُناكَ.

كانَتِ المَجْموعةُ مُكَوَّنةً مِنْ ثَلاثةِ رِجالٍ وَفَتاتَيْنِ. وَكانَ أَحَدُ الرِّجالِ يُسَمَّى بابْتِسْتا، وَكانَتِ الفَتاتانِ ابنَتَيْهِ: كِيت وَبِيانْكا. أَمّا



الرَّجُلانِ فَقَدْ كانا مُخْتَلِفَيْنِ اخْتِلافًا بَيِّنًا. ذلِكَ أَنَّ أَحَدَهُما – وَهُوَ هُورْتِنْسِيُو – كانَ شابًّا وَسيمًا، أَمَّا الآخَرُ – وَهُوَ جِريمْيُو – فَقَدْ كانَ ثَرِيًّا عَجوزًا يَتَّسِمُ بِالغَباءِ، وَيَرْتدي مَلابِسَ غَريبةً.

لَمْ يَسْتَطِعْ لُوسِنْشِيُو أَنْ يَرْفَعَ نَظَرَهُ عَنْ بِيانْكا، فَقَدْ كانَتْ فَتاةً رائعةَ الجَمالِ، وَكانَتْ واقِفةً في هُدوءٍ تَنْظُرُ في حَياءٍ إلى الأَرْضِ، بَيْنَما كانَ أَبوها بابْتِسْتا يَقولُ لِلرَّجُلَيْنِ الآخَرَيْنِ جِريمْيُو وَهُورْتِنْسِيُو: «أَيُّها السَّيِّدانِ، كُفَّا عَنِ الحَديثِ عَنْ رَغْبَتِكُما في الزَّواجِ بِابْنَتي بِيانْكا، فلَنْ أَسْمَحَ لَها بِالزَّواجِ بِأَيِّ شَخْصٍ حَتَّى تَتَزَوَّجَ أُخْتُها الكَبيرةُ كِيت. فإذا أَرادَ أَحَدُكُما أَنْ يَتَزَوَّجَ كِيت فَلْيَتَقَدَّمْ لَها.»

وَلكِنْ لَمْ تَكُنْ لِأَيِّهِما رَغْبَةٌ في ذلِكَ، لأَنَّ كِيت كانَتْ تَخْتَلِفُ كَثيرًا عَنْ أُخْتِها بِيانْكا. إِنَّها لَمْ تَكُنْ قَبيحةً، وَلكِنَّها لَمْ تَكُنْ تَغُضُّ مِنْ بَصَرِها، بَلْ كانَتْ تَقِفُ وَكَأَنَّها في قِتالٍ وَتُصَوِّبُ نَظَرَها رَأْسًا إلى الشَّخْصِ الَّذي يُحادِثُها، وَكانَ يَبْدو عَلَيْها أَنَّها مُسْتَعِدَّةٌ دائمًا لِلشِّجارِ. لَقَدْ كانَتْ فَتاةً شَرِسَةً.

نَظَرَتْ كِيت إلى والِدِها وَقالَتْ: «ماذا تَعْني يا أَبي؟ هَلْ تُحاوِلُ أَنْ تَبيعَني لِهذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ؟» وَكانَ صَوْتُها عالِيًا وَنَظَراتُها غاضِبةً.

قالَ هُورْتِنْسِيُو: «إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ زَوْجةٍ، وَلكِنِّي أُريدُ شَخْصًا أَكْثَرَ وَداعةً مِنْ كِيت.»

فَرَدَّت كِيت قائلةً: «لا تَخَفْ، فَلَيْسَ مِنَ المُنْتَظَرِ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، وَلكِنْ إذا حَدَثَ ذلِكَ فَسَوفَ أُصَفِّفُ شَعْرَ رَأْسِكَ الغَبِيِّ بِأَرْجُلِ المَقْعَدِ، وَأُلَطِّخُ وَجْهَكَ بِالأَلْوانِ وَأَجْعَلُكَ كالبَهْلَوانِ.»

فَهَمَسَ ترانْيُو إلى لُوسِنْشِيُو قائلًا: «إنَّ الفَتاةَ مَجْنونةٌ.»

وَلكِنَّ لُوسِنْشِيُو قالَ لِترانْيُو وَهُوَ يَنْظُرُ إلى بِيانْكا: «أُصْمُتْ! ما أَجْمَلَها!»

أَمّا بابْتِسْتا – والِدُ الفَتاتَيْنِ – فَلَمْ يَعْبَأْ بِما قالَتْهُ ابنتُهُ كِيت، وَقالَ مُوَجِّهًا حَديثَهُ إلى جرِيمْيُو وَهُورتِنْسِيُو: «إنَّني أَعْني ما قُلْتُهُ أَيُّها السَّيِّدانِ. أُدْخُلي البَيْتَ يا بِيانْكا وامْكُثي هُناكَ ولا تَبْتَئِسي فَإِنَّ مَحَبَّتي لَكِ كَما هِيَ.»

قالَتْ بِيانْكا وَهِيَ تَسيرُ نَحْوَ البَيْتِ: «سَوْفَ أُطيعُكَ يا أَبي، وَسَوْفَ أَجْعَلُ مِنْ كُتُبي وَآلاتي المُوسِيقِيَّةِ صَواحِبَ لي.»

فَهَمَسَ لُوسِنْشِيُو إلى ترانْيُو: «إنَّهُ لَصَوْتٌ ساحِرٌ!»

وَأَثْناءَ ابْتِعادِ بِيانْكا قالَ هُورتِنْسِيُو في حُزْنٍ لِبابْتِسْتا: «لِماذا كُنْتَ قاسِيًا عَلَيْها؟ أَلأَنَّنا نُحِبُّها هِيَ لا كِيت؟»

وَسَأَلَ جرِيمْيُو بابْتِسْتا: «لِماذا تُعاقِبُها عَلى سَلاطَةِ لِسانِ أُخْتِها؟»

فَرَدَّ عَلَيْهِما بابْتِسْتا قائلًا: «لا تَقْلَقا أَيُّها السَّيِّدانِ. إنَّها تُحِبُّ المُوسيقى والفَنَّ والشِّعْرَ. وَمِنَ الواجِبِ أَنْ تَظَلَّ بِالبَيْتِ، وَلكِنِّي سَأُحْضِرُ المُدَرِّسينَ لَها. فَإِذا كُنْتُما تَعْرِفانِ مُدَرِّسينَ مُمْتازِينَ فَلْتَأْتوني بِهِمْ، وسَوْفَ أُجْزِلُ لَهُمُ العَطاءَ. وَالآنَ أَراني مُضْطَرًّا لِلذَّهابِ. أُمْكُثي هُنا يا كِيت، فَلَدَيَّ الكَثيرُ أُريدُ أَنْ أَقولَهُ لِبِيانْكا.» ثُمَّ ذَهَبَ.

ظَهَرَ الغَضَبُ عَلى وَجْهِ كِيت وَقالَتْ: «تُريدُني أَنْ أَبْقى هُنا،

أَلَيْسَ كَذلِكَ؟ سَأَفْعَلُ ما يَحْلو لي وَأَذْهَبُ حَيْثُما أُريدُ.» وَسارَتْ في الِاتِّجاهِ الآخَرِ وَهِيَ في غَضَبٍ شَديدٍ.

قالَ جريمْيُو: «حَسَنًا، يُمْكِنُها أَنْ تَذْهَبَ إلى الشَّيْطانِ وَلَنْ أُوقِفَها. وَلكِنِّي سَأُحاوِلُ أَنْ أَجِدَ مُدَرِّسًا مُمْتازًا لِبيانْكا، لِأَنِّي أُحِبُّها.»

وَقالَ هُورتِنْسِيُو: «هذا ما سَأُحاوِلُهُ أَنا أَيْضًا. وَلكِنِ اسْتَمِعْ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ. نَحْنُ الِاثْنَيْنِ غَريمانِ لِأَنَّنا نُحِبُّ بِيانْكا، وَلكِنْ عَلَيْنا أَنْ نَعْمَلَ مَعًا مِنْ أَجْلِ تَحْقيقِ هَدَفٍ واحِدٍ.»

«ما هُوَ؟»

«هُوَ بِالطَّبْعِ أَنْ نَجِدَ زَوْجًا لِأُخْتِها.»

«أَتَقولُ زَوْجًا؟! قُلْ شَيْطانًا. إِنَّهُ عَلى الرَّغْمِ مِنْ ثَراءِ والِدِها فَلَنْ تَجِدَ هذا الأَحْمَقَ الَّذي يَقْبَلُ أَنْ يَتَزَوَّجَها.»

لَمْ يَكُنْ هُورتِنْسِيُو مُتَأَكِّدًا مِنْ صِحَّةِ هذا الرَّأْيِ فَقالَ: «أَنْتَ وَأَنا لا نَحْتَمِلُ أَنْ نَحْيا حَياةَ شِجارٍ لا يَنْتَهي مَعَها. وَلكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ مَنْ يَقْبَلُها.. وَنُقودَها الكَثيرَةَ.»

رَدَّ عَلَيْهِ جريمْيُو: «قَدْ يَكونُ هذا صَحيحًا، وَلكِنِّي أُفَضِّلُ أَنْ أُضْرَبَ بِالعِصِيِّ كُلَّ صَباحٍ في السُّوقِ العامِّ عَلى الزَّواجِ بِها.»

وافَقَهُ هُورتِنْسِيُو قائلًا: «نَعَمْ، لَيْسَ هُناكَ فَرْقٌ كَبيرٌ بَيْنَ الحالَيْنِ – وَقَدْ يَكونُ الاخْتيارُ صَعْبًا. فَإِذا كانَ التُّفاحُ عاطِبًا تَضاءَلَتْ أَمامَكَ فُرْصَةُ الِانْتِقاءِ. إِنَّ الشَّيْءَ الَّذي يَنْبَغي لَنا أَنْ نَفْعَلَهُ هُوَ أَنْ نَجِدَ

زَوْجًا لكِيت بِأسْرَعِ ما يُمْكِنُ.» ثُمَّ مَضى الرَّجُلانِ إلى سَبيلِهِما.

نَظَرَ ترانْيُو إلى لُوسِنْشِيُو الَّذي كانَ مُسْتَغْرِقًا في نَظْرَةٍ حالِمَةٍ وَسَأَلَهُ: «أَخْبِرْني، هَلْ يُسَيْطِرُ الحُبُّ عَلى المَرْءِ فَجْأَةً بِهذِهِ القُوَّةِ؟»

«آهٍ يا ترانْيُو! إنَّني لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ قَطُّ أَنَّهُ مِنَ المُمْكِنِ أَوْ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَحْدُثَ هذا. وَلكِنِّي سَوْفَ أُخْبِرُكَ لأنّي لا أُخْفي عَنْكَ سِرًّا أَبَدًا. إِنَّني أَهيمُ بِتِلْكَ الفَتاةِ الصَّغيرةِ اللَّطيفةِ.»

«سَيِّدي، إنَّكَ كُنْتَ تُحَمْلِقُ إلَيْها طَوالَ الوَقْتِ، وَلَعَلَّكَ لِذَلِكَ لَمْ تُلاحِظِ النُّقْطَةَ الرَّئيسِيَّةَ.»

«نَعَمْ، لَقَدْ رَأَيْتُ جَمالًا رائعًا في وَجْهِها.»

«أَهَذا كُلُّ شَيْءٍ؟ أَلَمْ تُلاحِظْ كَيْفَ بَدَأَتْ أُخْتُها تَسُبُّ الآخَرينَ وَتُثيرُ عاصِفَةً هَوْجاءَ وَصَخَبًا شَديدًا لا تَقْدِرُ الأُذُنُ البَشَرِيَّةُ عَلى سَماعِهِ؟»

فَقالَ لَهُ لُوسِنْشِيُو: «لَقَدْ رَأَيْتُ شَفَتَيْها الجَميلَتَيْنِ تَتَحَرَّكانِ يا ترانْيُو، وَشاهَدْتُ كَيْفَ أَنَّ أَنفاسَها الحُلْوَةَ قَدْ عَطَّرَتِ الجَوَّ.»

فَقالَ ترانْيُو لِنَفْسِهِ: «لَقَدْ حانَ الوَقْتُ الَّذي أُوقِظُهُ فيهِ مِنْ أَحْلامِهِ.» ثُمَّ قالَ لِلُوسِنْشِيُو: «أَرْجو أَنْ تَسْتَمِعَ إلَيَّ يا سَيِّدي. إذا كُنْتَ تُحِبُّ الفَتاةَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ السَّبيلِ الَّذي يُمَكِّنُكَ مِنَ الفَوْزِ بِها. وَالمَوْقِفُ عَلى النَّحْوِ الآتي: إنَّ أُخْتَها الكُبْرى حادَّةُ الطَّبْعِ، وَهِيَ شَرِسَةٌ لِلْغايَةِ. وَقَدْ قَرَّرَ أَبوها أَنْ تَبْقى بِيانْكا في البَيْتِ إلى أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الحُصُولِ عَلى زَوْجٍ لأُخْتِها الكَبيرةِ كِيت. وَبِهذا لَنْ

يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ أَنْ يُحادِثَ بِيانْكا.»

«يَبْدو أَنَّهُ أَبٌ قاسٍ. وَلكِنْ، هَلْ سَمِعْتَهُ يَتَحَدَّثُ عن حاجتِهِ إلى مُعَلِّمينَ أَكْفاءٍ لِتَعْليمِها؟»

رَدَّ ترانْيُو قائلًا: «نَعَمْ، وَإنَّ عِنْدي خُطَّةً.»

«وعِنْدي خُطَّةٌ كَذلِكَ، وَلكِنْ أَفْصِحْ لي عَنْ خُطَّتِكَ أَوَّلًا.»

قالَ لَهُ ترانْيُو: «أَنْ تُصْبِحَ مُعَلِّمًا لَها - أَهذِهِ خُطَّتُكَ؟»

فَقالَ لُوسِنْشِيُو: «نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى ذلِكَ؟»

«لَيْسَ هذا مُمْكِنًا. فَمَنْ ذا الَّذي سَيَأْخُذُ مَكانَكَ وَيُصْبِحُ ابنَ فِنْسِنْشِيُو هُنا في بادُوَا. وَمَنْ ذا الَّذي سَيُرَحِّبُ بِأَصْدقاءِ والِدِكَ وَيَذْهَبُ إلى الجامِعةِ وَما إلى ذلِكَ؟»

ضَحِكَ لُوسِنْشِيُو وَقالَ: «لَيْسَ هذا بِالأمْرِ الذي يَصْعُبُ تَدبيرُهُ؛ فَلا أَحَدَ يَعْرِفُنا هُنا في بادُوَا. وَلهذا فَعَلَيْكَ أَنْتَ يا ترانْيُو أَنْ تُصْبِحَ ابنَ فِنْسِنْشِيُو، وَسَوْفَ آخُذُ مَكانَكَ. اخْلَعْ قُبَّعَتَكَ وَمَلابِسَكَ الآنَ وَالبَسْ مَلابِسي.» ثُمَّ طَلَبَ مِنْ ترانْيُو أَنْ يَقومَ بِعَمَلٍ آخَرَ قائلًا: «أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَتَظاهَرَ بِأَنَّكَ مِمَّنْ يُريدونَ الزَّواجَ بِبيانْكا. إنَّ لَدَيَّ سَبَبًا قَوِيًّا يَجْعَلُني أَطْلُبُ مِنْكَ ذلِكَ.»

جاءَ بِتْرُوكْيُو مِنْ فِيرُونَا وَمَعَهُ خادِمُهُ جرُومْيُو. وَكانَ الغَرَضُ مِنْ مَجيئِهِ إلى بادُوَا زيارةَ أَصْدِقائِهِ وَبِخاصَّةٍ صَديقُهُ العَزيزُ هُورْتِنْسِيُو.

وَكانَ هُورْتِنْسِيُو خارِجًا مِنْ بَيْتِهِ عِنْدَما وَصَلَ إِلَيْهِ بِتْرُوكْيُو وَخادِمُهُ جرُومْيُو.

قالَ هُورْتِنْسِيُو: «إنَّني في غايةِ السُّرورِ لِرُؤْيَتِكَ. وَلكِنْ أَخْبِرْني، ماذا جاءَ بِكَ إلى بادُوَا؟»

«لَقَدْ ماتَ أَبي، وَلَدَيَّ أَمْوالٌ في جَيْبي وَبَضائِعُ في بَيْتي، وَقَدْ بَدَأْتُ تَجْوالي لأرى الدُّنيا وَأَبْحَثَ عَنْ زَوْجةٍ.»

فَضَحِكَ هُورْتِنْسِيُو وَقالَ: «أَعْرِفُ أَيْنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَجدَ زَوْجَةً وَتَحْصُلَ مَعَها على أَمْوالٍ طائلةٍ. وَلكِنَّكَ لَنْ تَشْكُرَني عَلى ذلِكَ. أَنْتَ صَديقي وَلهذا فَلَنْ أُخْبِرَكَ.»

«إذا كُنْتَ تَعْرِفُ فَتاةً لَدَيْها مِنَ الأمْوَالِ ما يُؤَهِّلُها لأنْ تُصْبِحَ زَوْجةً بِتْرُوكْيُو فَأَرْجوكَ أَنْ تُرْشِدَني إلَيْهَا. إنَّني أَبْحَثُ عَنْ زَوْجةٍ غَنيَّةٍ في بادُوَا، وَإذا أَمْكَنَني أَنْ أَجِدَ زَوْجةً غَنيَّةً فَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ في أَنَّ زَواجي سَوْفَ يَكونُ سَعيدًا.»

تَحَدَّثَ جرُومْيُو لِلْمَرَّةِ الأُولى قائلًا: «إنَّهُ يَعْني ما يَقولُ. أَعْطِهِ القَدْرَ الكافِيَ مِنَ الذَّهَبِ وَسَوْفَ يَتَزَوَّجُ في مُقابِلِ ذلِكَ عَجوزًا دَميمةً.»

فَقالَ لَهُ صَديقُهُ: «حَسَنًا يا بِتْرُوكْيُو. إذا كانَ هذا هَدَفَكَ فَفي وُسْعي أَنْ أُساعِدَكَ في الحُصولِ عَلى زَوْجةٍ. إنَّها غَنِيَّةٌ جِدًّا وَصَغيرةٌ وَجَميلةٌ. وَالنَّقْصُ الوَحيدُ فيها – وَهُوَ نَقْصٌ مَعيبٌ – أَنَّها حادَّةُ المِزاجِ، قَوِيَّةُ الإرادةِ، شَرِسَةُ الطَّبْعِ. إنَّني مَهْما كُنْتُ فَقيرًا فَلا أَقْبَلُ الزَّواجَ بِها، حَتَّى وَلَوْ عَرَضوا عَلَيَّ مَنْجمًا مِنَ الذَّهَبِ.»

قالَ بِتْرُوكْيُو مُبْتَسِمًا: «أَنْتَ لا تَعْرِفُ إغْراءَ الذَّهَبِ القَوِيَّ

يا هُورْتِنْسِيُو. قُلْ لي مَنْ هُوَ أَبوها وَفي ذٰلِكَ الكِفايَةُ.»

«أَبوها بابْتِسْتا مِينُولا، وَهُوَ سَيِّدٌ مُهَذَّبٌ. وَاسمُ الفَتاةِ كِيت، وَهِيَ مَشْهُورةٌ في بادُوَا بِلِسانِها السَّليطِ.»

قالَ بِتْرُوكْيُو: «إِنَّني أَعْرِفُ أَباها رَغْمَ أَنّي لا أَعْرِفُها، وَأَبوها يَعْرِفُ أَبي جَيِّدًا. أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ الآنَ لأَراها، فَهَلْ تَأْتي مَعي؟»

قالَ هُورتِنْسِيُو: «بكُلِّ تَأْكيدٍ يا بِتْرُوكْيُو. وَلكِنْ في وُسْعِكَ أَنْ تُؤَدِّيَ لي خِدْمةً. إِنَّ لِكِيت أُخْتًا أَصْغَرَ مِنْها هِيَ بِيانْكا الجَميلةُ، وَهِيَ حُلْمُ حَياتي. وَهُناكَ الكَثيرون مِثْلي يُحِبُّونَ بِيانْكا، وَلكِنْ بابْتِسْتا لَنْ يَسْمَحَ لَنا بِرُؤْيَتِها حَتّى تَتَزَوَّجَ أُخْتُها. وَلَدَيَّ فِكْرةٌ. سَوْفَ أُغَيِّرُ مَظْهَري، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَأْخُذَني مَعَكَ وَأَنا أَرْتَدي المَلابِسَ البَسيطةَ لِمُعَلِّمٍ. وَإِذا أَنْتَ قُلْتَ لبابْتِسْتا العَجوزِ إِنّي مُدَرِّسُ مُوسيقى مُمْتازٌ لِتَعْليمِ بِيانْكا فَسَوْفَ أَتَمَكَّنُ مِنْ رُؤْيَتِها كُلَّ يَوْمٍ وَمِنْ مُصارَحَتِها بِحُبّي.»

كانَ جِرِيمْيُو العَجوزُ يَسيرُ في الشّارِعِ مَعَ لُوسِنْشِيُو، الَّذي يَرْتَدي مَلابِسَ ترانْيُو، وَكانَ بِتْرُوكْيُو وَهُورْتِنْسِيُو يَسْمَعانِهِما وَهُما يَتَحَدَّثانِ، وَعَرَفا أَنَّ جِرِيمْيُو يَنْوي تَقْديمَ لُوسِنْشِيُو الشّابِّ إِلى بابْتِسْتا بِصِفَتِهِ مُعَلِّمًا يَقومُ بِالتَّدْريسِ لِبِيانْكا. كَما سَمِعا كَذٰلِكَ أَنَّ المُعَلِّمَ يَنْوي أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلى بِيانْكا عَنْ حُبِّ جِرِيمْيُو لَها.

قالَ هُورْتِنْسِيُو: «صَباحَ الخَيْرِ يا جِرِيمْيُو.»

فَرَدَّ جِرِيمْيُو قائلًا: «يَسُرُّني أَنْ أَراكَ.» وَلا شَكَّ أَنَّهُ كانَ كاذِبًا

في ادِّعائِهِ هذا. وَواصَلَ حَديثَهُ قائِلًا: «إنِّي ذاهِبٌ إلى بَيْتِ بابْتِسْتا. مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنِّي وَجَدْتُ هذا الشابَّ كامْبِيُو «وَأَشارَ إلى لُوسِنْشِيُو» وَهُوَ شابٌّ مُثَقَّفٌ لِلْغايَةِ. وَسَوْفَ يَكونُ في وُسْعِهِ أَنْ يُعَلِّمَ بِيانْكا كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ بِالكُتُبِ وَالشِّعْرِ.»

تَظاهَرَ هُورْتِنْسِيُو بِأَنَّهُ سَعيدٌ بِذلِكَ وَقالَ: «أَمَّا أَنا فَقَدْ قابَلْتُ شَخْصًا سَوْفَ يُحْضِرُ مُدَرِّسًا مُمْتازًا لِتَعْليمِ المُوسِيقى لِبِيانْكا. وَلَدَيَّ أَخْبارٌ أَهَمُّ. إنَّ هذا السَّيِّدَ - وَأَشارَ إلى بِتْرُوكْيُو - «راغِبٌ في الزَّواجِ بِكِيت بِشُروطٍ.»

فَسَأَلَهُ جِرِيمْيُو: «ما تِلْكَ الشُّروطُ؟»

«أَنْ نَدْفَعَ لَهُ نَفَقاتِهِ.» وَكانَ هُورْتِنْسِيُو يَعْني بِذلِكَ أَنْ يَقومَ العَجوزُ الغَنِيُّ الغَبِيُّ جِرِيمْيُو بِالدَّفْعِ. «وَأَنَّ على كِيت أَنْ تُحْضِرَ مَعَها مَبْلَغًا كافِيًا مِنَ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ عِنْدَما يَتَزَوَّجُها.»

قَالَ جِرِيمْيُو العَجوزُ: «رائِعٌ! هَلْ أَخْبَرْتَهُ بِكُلِّ نَقائِصِها؟»

رَدَّ بِتْرُوكْيُو: «أَنا أَعْرِفُ أَنَّها تَسُبُّ وَتَتَشاجَرُ.»

قَالَ جِرِيمْيُو: «إنَّها فَتاةٌ شَرِسَةٌ مُرعِبَةٌ. أَلا تَخافُها؟»

ضَحِكَ بِتْرُوكْيُو وَقالَ: «أَخافُها؟ أَتَعْتَقِدُ أَنِّي أَتَضايَقُ مِنْ قَدْرٍ تافِهٍ مِنَ الصَّخَبِ وَالضَّجيجِ؟ أَنا الَّذي سَمِعَ الأُسودَ وَهِيَ تَزْأَرُ، وَرَأى أَمْواجَ البَحْرِ وَقَدْ أَثارَتْها العَواصِفُ فَأَقْبَلَتْ صاخِبَةً وَكَأَنَّها الوَحْشُ الغاضِبُ. أَنا الَّذي سَمِعَ دَوِيَّ المَدافِعِ وَصَيْحاتِ المُحارِبينَ في مَيْدانِ القِتالِ، ثُمَّ تُحَذِّرُني بَعْدَ ذلِكَ مِنْ لِسانِ امْرَأَةٍ؟»

كانَتْ كِيت تَتَشاجَرُ مَعَ أُخْتِها بِيانْكا داخِلَ المَنْزِلِ، فَصاحَتْ بِها قائلةً: «أَيَّتُها الطِّفْلةُ الغَبِيَّةُ، أَخْبِريني مَنِ الَّذي تُفَضِّلينَهُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ المُعْجَبينَ بِكِ؟»

«صَدِّقيني يا أُخْتي إنِّي لَمْ أَجِدْ حَتَّى الآنَ مِنْ بَيْنِ هؤلاءِ الرِّجالِ وَجْهًا أُفَضِّلُهُ عَلَى سِواهُ.»

فَزادَ ذلِكَ الرَّدُّ مِنْ غَضَبِ كِيت، وَقالَتْ: «إِنَّهُ هُورْتِنْسِيُو، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟»

«إذا كُنْتِ تُفَضِّلينَهُ يا شَقيقَتِي فَسَأَطْلُبُ مِنْهُ بِنَفْسي أَنْ يَتَزَوَّجَكِ.»

قالَتْ كِيت: «آهٍ! إِذًا فَأَنْتِ تُفَضِّلينَ المالَ. لا بُدَّ أَنَّكِ تُفَضِّلينَ جِرِيمْيُو العَجوزَ حَتَّى يُوَفِّرَ لَكِ الحَياةَ المُريحةَ.»

وَلكِنّ بِيانْكا لَمْ تَفْهَمْ ذلِكَ، وَقالَتْ: «لا بُدَّ أَنَّكِ تَمْزَحينَ.»

قالَتْ كِيت: «إذا كانَ هذا مُزاحًا فَهذا أَيْضًا مُزاحٌ.» وصَفَعَتْها عَلى وَجْهِها بِغَضَب. عِنْدَئذٍ أَسْرعَ بابْتِيسْتا إِلى الغُرْفَةِ وقالَ مُخاطِبًا كِيت: «ماذا تَصْنَعينَ؟ لَقَدْ أَبْكَيْتِ أُخْتَكِ المِسْكينةَ. لِماذا تُعامِلينَها بِهذِهِ القَسْوَةِ؟ إِنَّها لَمْ تؤذِكِ قَطُّ، بَلْ لَمْ تُحَدِّثْكِ مَرَّةً واحِدةً بِجَفاءٍ!»

قالَتْ كِيت: «هذا هُوَ السَّبَبُ. إِنَّ صَمْتَها يُغْضِبُني وَيُثيرُني.» وَاندَفَعَتْ نَحْوَ بِيانْكا مَرَّةً أُخْرى، وَلكِنَّ أَباها أَوْقَفَها فَاستَدارَتْ إِلَيْهِ ثائرةً وَصاحَتْ: «الآنَ عَرَفْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّها قُرَّةُ عَيْنَيْكَ. مِنْ حَقِّها



أَنْ تَتَزَوَّجَ، أَمَّا أَنا فَعَلَيَّ أَنْ أَرْقُصَ حافيةً في عُرْسِها. سَوْفَ أَجْعَلُكُما تَنْدَمانِ عَلى هذا المَوْقِفِ.» ثُمَّ انْدَفَعَتْ خارِجةً مِنَ الغُرْفةِ.

لَمْ يَكُنْ لَدَى بابْتِسْتا وَقْتٌ كافٍ لِيُفَكِّرَ لِماذا ابتُلِيَ بِمِثْلِ هذِهِ البِنْتِ الشَّرِسةِ، فَقَدْ وَصَلَ عَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ إِلى مَنْزِلِهِ في وَقْتٍ واحِدٍ. فَقَدْ جاءَ جرِيمْيُو وَمَعَهُ لُوسِنْشِيُو مُرْتَدِيًا مَلابِسَ مُعَلِّمٍ فَقيرٍ ومُنْتَحِلًا لِنَفْسِه اسْمَ كامْبيُو. كَما جاءَ بِتْرُوكْيُو وَمَعَهُ هُورْتِنْسِيُو مُرْتَدِيًا مَلابِسَ مُدَرِّسِ مُوسِيقى وَمُنْتَحِلًا لِنَفْسِهِ اسمَ لِيشْيُو. وَجاءَ كَذلِكَ ترانْيُو مُرْتَدِيًا مَلابِسَ لُوسِنْشِيُو الفاخِرةَ.

قالَ جرِيمْيُو مُحَيِّيًا: «صَباحَ الخَيْرِ يا بابْتِسْتا.»

فَرَدَّ بابْتِسْتا: «صَباحَ الخَيْرِ يا جرِيمْيُو.» ثُمَّ اتَّجَهَ إِلى الآخَرِينَ وَقال: «صَباحَ الخَيْرِ يا سادةُ.»

فَانْحَنى لَهُ بِتْرُوكْيُو قائِلًا: «صَباحَ الخَيْرِ يا سَيِّدي، لَقَدْ كُنْتَ تَعْرِفُني عِنْدَما كُنْتُ طِفْلًا. أَلَيْسَ لَدَيْكَ ابْنةٌ جَميلةٌ فاضِلةٌ تُسَمَّى كِيت؟»

«بَلى إِنَّ لَدَيَّ ابْنةً تُسَمَّى كِيت يا سَيِّدي.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «أَنا سَيِّدٌ مِنْ فِيرُونا. وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ جَمالِها وَحُبِّها لِلْمَرَحِ وَعَنْ طَبيعَتِها اللَّطيفةِ وَتَصَرُّفِها الهادِئِ. وَلِهذا أَرْجو أَلَّا تُؤاخِذَني إِذا كُنْتُ قَدْ جِئْتُ إِلى بَيْتِكَ لأَرَى ابْنَتَكَ الرَّائِعةَ هذِهِ. وَلِكَيْ أُظْهِرَ لَكَ أَنَّ دَوافِعي نَبيلةٌ فَقَدْ أَحْضَرْتُ لَها مُدَرِّسًا.» ثُمَّ جَذَبَ هُورْتِنْسِيُو إِلى الأَمامِ وَقال: «هذا هُوَ الرَّجُلُ يا سَيِّدي واسْمُهُ لِيشْيُو.

إِنَّهُ بارِعٌ في المُوسيقَى وَالعُلومِ، وَقَدْ أَحْضَرْتُ مَعي عُودًا كَيْ يُعَلِّمَها كَيْفَ تَعْزِفُ عَلَيْهِ.»

دَهِشَ بابْتِسْتا لِذلِكَ وَقالَ: «مَرْحَبًا بِكَ يا سَيِّدي وَمَرْحَبًا بِهِ. وَلكِنْ يُؤْسِفُني أَنْ أَقولَ لَكَ إِنَّ ابْنَتي كِيت لَيْسَتِ الفَتاةَ التي تُناسِبُكَ.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «مِنَ الواضِحِ أَنَّكَ لا تُريدُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ ابْنَتِكَ. أَوْ رُبَّما لَمْ أُعْجِبْكَ.»

«لا تُسِئْ فَهْمِي. لَقَدْ كُنْتُ أَقولُ الحَقيقَةَ. هَلْ لِي أَنْ أَعْرِفَ اسْمَكَ؟»

«إِنَّ اسْمي بِتْرُوكْيُو، وَأَبي هُوَ أَنْطُونْيُو مِنْ مَدينَةِ ڤِيرُونَا.»

«لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ جَيِّدًا. مَرْحَبًا بِكَ إِكْرامًا لَهُ.»

عِنْدَئِذٍ قالَ جرِيمْيُو لِبِتْرُوكْيُو: «أَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لي بِالحَديثِ.»، ثُمَّ أَخْبَرَ بابْتِسْتا أَنَّهُ جاءَ بِمُعَلِّمٍ لِبِيانْكا اسْمُهُ كَامْبِيو، وَقَدَّمَ لَهُ لُوسِنْشِيُو عَلى أَنَّهُ المُعَلِّمُ الَّذي جاءَ يَعْرِضُ خِدْماتِهِ.

تَقَبَّلَ بابْتِسْتا هذا العَرْضَ شاكِرًا، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلى ترانْيُو قائِلًا: «مَرْحَبًا بِكَ كَذلِكَ. وَلكِنْ هَلَّا أَخْبَرْتَني بِسَبَبِ مَجيئِكَ؟»

قالَ ترانْيُو كاذِبًا: «إِنَّ اسْمي يا سَيِّدي هُوَ لُوسِنْشِيُو وَأَنا ابْنُ ڤِنْسِينْشِيُو مِنْ أَثْرِياءِ مَدينَةِ بِيزا. وَأَرْجُو أَلَّا تُؤاخِذَني لِحُضوري هُنا، فَقَدْ سَمِعْتُ الكَثيرَ عَنِ ابْنَتِكَ الجَميلَةِ الفاضِلَةِ بِيانْكا. وَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَسْمَحَ لي بِأَنْ أَكونَ أَحَدَ خُطَّابِها. وَإِظْهارًا لِنَوايايَ الطَّيِّبَةِ فَقَدْ

أَحْضَرْتُ هذِهِ الكُتُبَ النَّفيسَةَ القَديمَةَ.»

فَقالَ بابْتِسْتا: «شُكْرًا لَكَ.» ثُمَّ نادَى الخادِمَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَ الكُتُبَ إلى بِيانْكا، وَأَنْ يَصْحَبَ كامْبيُو وَلِيشْيُو إِلَيْها. وَكانَ لِيشْيُو يَحْمِلُ العُودَ.

قالَ بِتْرُوكْيُو: «لا أُريدُ تَأْخيرًا في إِنْجازِ مُهِمَّتي، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَبي جَيِّدًا، وَلِهذا فَأَنْتَ على عِلْمٍ بِثَرْوَتي وَمكانَتِي. قُلْ لِي كَمْ سَيَكونُ نَصيبي مِنْكَ إذا وافَقَتِ ابْنَتُكَ عَلى الزَّواجِ بي؟»

فَقالَ بابْتِسْتا: «سأُعْطيكَ عِشْرينَ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنَ الذَّهَبِ يَوْمَ زِفافِكَ، وسَوْفَ تَرِثُ نِصْفَ ما عِنْدي مِنْ أَراضٍ وَمُمْتَلَكاتٍ عِنْدَ وَفاتي.»

أَوْمَأَ بِتْرُوكْيُو بِرَأْسِهِ قائلًا: «وَإِذا أَنا مِتُّ قَبْلَها فَسَوْفَ تَأْخُذُ كُلَّ ما أَمْلِكُ. وَالآنَ، أَرْسِلْ إلى المُحامِينَ وَاطْلُبْ مِنْهُمْ أَنْ يُعِدُّوا الاتِّفاقَ.»

فَقالَ بابْتِسْتا: «لَكَ هذا، ولكِنْ بَعْدَ أَنْ تَفُوزَ بِأَهَمِّ شَيْءٍ عَلَى الإِطْلاقِ وَهُوَ حُبُّها.»

فَرَدَّ بِتْرُوكْيُو في ثِقَةٍ: «هذا أَمْرٌ سَهْلٌ. إِنَّ لَدَيْها الكِبْرياءَ وَلَدَيَّ العَزيمةَ. وَعِنْدَما نَلْتَقي سَوْفَ تَشْتَعِلُ نارٌ مُتَأَجِّجةٌ، ثُمَّ لا يَبْقى لَنا بَعْدَ ذلِكَ ما نَتَشاجَرُ عَلَيْهِ.»

عِنْدَئِذٍ عادَ هُورْتِنْسِيُو إلى الغُرْفةِ، وَكانَتِ الدِّماءُ تَسيلُ مِنْ رَأْسِهِ، وَكانَ العُودُ مُحَطَّمًا وَعالِقًا بِرَقَبَتِهِ.



لَمْ يَدْهَشْ بابْتِسْتا لِذلِكَ وَسَأَلَ: «ألا تُريدُ كِيت أَنْ تُصْبِحَ عازِفَةً بارِعةً؟» لكِنَّ هُورْتِنْسِيُو لم تَرُقْ لَهُ هذهِ الدُّعابَةُ وقالَ: «بَلْ سَتُصْبِحُ مُحارِبَةً بارِعَةً.» ضَحِكَ بِتْرُوكْيُو مُقَهْقِهًا، ثُم قالَ: «يا لَها مِنْ فَتاةٍ رائِعةٍ! لَقَدْ زادَ حُبِّي لَها عَشْرَ مَرَّاتٍ عَنْ ذي قَبْلُ. لَيْسَ في وُسْعِي أَنْ أَصْبِرَ. هَلْ يُمْكِنُني أَنْ أُحادِثَها؟»

فَقالَ بابْتِسْتا: «سَوْفَ أُرْسِلُها إلَيْكَ.» ثُمَّ خَرَجَ آخِذًا هُورْتِنْسِيُو مَعَهُ لِيُضَمِّدَ رَأْسَهُ، وَتَبِعَهُما جرُومْيُو وترانْيُو.

قالَ بِتْرُوكْيُو: «سَوْفَ أَنْتَظِرُها هُنا.» ثُمَّ قالَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: سَوْفَ تَحْظَى مِنِّي بِكَلِماتِ الحُبِّ العَذْبَةِ:

قالوا تَسُبُّ فَقُلْتُ سُبِّي ... إِنَّ صَوْتَكِ في عُذُوبَةِ بُلْبُلِ
قالوا تُقَطِّبُ قُلْتُ: هذا الوَ ... جْهُ كَالوَرْدِ الصَّبوحِ العاطِرِ

وَإذا الْتَزَمَتِ الصَّمْتَ فَسَوْفَ أُثْنِي عَلَى حَديثِها المُمْتِعِ.»

جاءَتْ كِيت فَقالَ لَها بِتْرُوكْيُو: «صَباحَ الخَيْرِ يا كِيت.»

قالَتْ: «عَلى الأغْرابِ أَنْ يُنادُوني بِاسْمِ كاتْرِينْ. إنَّ كِيت هُوَ اسْمُ التَّدْليلِ الَّذي يُنادِيني بِهِ الأَصْدِقاءُ.»

«حَسَنًا، وَلكِنِّي سَوْفَ أُنادِيكِ بِاسْمِ كِيت. هذا هُوَ الاسْمُ الَّذي سَمِعْتُ النَّاسَ يَسْتَخْدِمونَهُ. إنَّهُمْ يُسَمُّونَكِ في بَعْضِ الأَحْيانِ بِاسْمِ كِيت الشَّرِسةِ، وَفي أَحْيانٍ يُسَمُّونَكِ كِيت المُشاكِسةَ، وَلكِنَّكِ بِالنِّسْبَةِ لِي كِيت فَقَطْ - أَجْمَلُ وَأَرَقُّ كِيت في العالَمِ. لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ رِقَّتِكِ وَجَمالِكِ ولُطْفِكِ، وَأَنا مُصَمِّمٌ عَلى الزَّواجِ بِكِ.»

وَبِالطَّبْعِ بادَرَتْهُ كِيت بِصَفْعَةٍ عَلى وَجْهِهِ، وَلكِنَّهُ ضَحِكَ وَقال: «إذا كُنْتِ سَتُعَبِّرينَ عَنْ حُبِّكِ لي بِهذا الأُسْلوبِ مَرَّةً أُخْرى، فَسَوْفَ أُعَبِّرُ لَكِ عَنْ حُبِّي بِنَفْسِ الأُسْلُوبِ.»

«إنَّ الرَّجُلَ المُهَذَّبَ لا يَضْرِبُ سَيِّدَةً.»

فَقالَ: «لا بِالطَّبْعِ؛ وَلكِنَّ أُسْلوبِيَ في مُداعَبَةِ وَجْهِكِ قَدْ يُؤْلِمُكِ.»

وَلَمْ تَضْرِبْهُ مَرَّةً أُخْرى، وَلكِنْ عِنْدَما عادَ بابْتِسْتا وَجرِيمْيُو وَترانْيُو إلى الغُرْفَةِ وَجَدوا الاثْنَيْنِ في شِجارٍ عَنيف. فَسَأَلَ بابْتِسْتا: «ما مَدى نَجاحِكَ يا بِتْرُوكْيُو في التَّعْبيرِ عَنْ حُبِّكَ.»

«جَيِّدٌ جِدًّا بِالطَّبْعِ.»

فَقالَ بابْتِسْتا لِابْنَتِهِ كِيت: «يَبْدُو أَنَّكِ غَيْرُ سَعيدةٍ يا بُنَيَّتِي.»

«أَتَجْرُؤُ أَنْ تُسَمِّيَنِي ابْنَتَكَ. يا لَكَ مِنْ أَبٍ عَظيمٍ تُريدُنِي أَنْ أَتَزَوَّجَ شَخْصًا مَجْنونًا سَبَّابًا جِلْفًا كَهذا الشَّخْصِ.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو بِسُرْعَةٍ: «اِسْتَمِعْ إِلَيَّ يا بابْتِسْتا. لَقَدْ أَخْطَأْتَ، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ تَحَدَّثَ عَنْها. إِنَّها لَيْسَتْ شَرِسَةً. إِنَّها حُلْوَةٌ هادِئَةٌ صَبورٌ. كُلٌّ مِنَّا يُحِبُّ الآخَرَ حُبًّا جَمًّا حَتَّى إنَّنا قَدِ اتَّفَقْنا عَلى أَنْ نَتَزَوَّجَ يَوْمَ الأَحَدِ المُقْبِلِ.»

فَصاحَتْ كِيت: «يَوْمَ الأَحَدِ! أُفَضِّلُ أَنْ أَراكَ مَشْنُوقًا يَوْمَ الأَحَدِ.»

لَمْ يَسْعَدْ جرِيمْيُو بِهذا وقالَ: «يَبْدو أَنَّها لا تُريدُ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِكَ يا بِتْرُوكْيُو.»

وأَضافَ ترانْيُو: «يَبْدو أَنَّكَ لَمْ تَنْجَحْ في مَسْعاكَ.»

وَلكِنَّ بِتْرُوكْيُو ضَحِكَ وَقالَ: «صَبْرًا يا سادَةُ. لَقَدِ اتَّفَقْنا هِيَ وَأَنا ولا يُهِمُّ أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذلِكَ. عِنْدَما كُنَّا مَعًا اتَّفَقْنا عَلَى خُطَّةٍ. وَهِيَ أَنْ تُواصِلَ التَّصَرُّفَ بِشَراسةٍ في حُضور الآخَرين. أَنْتُمْ لا يُمْكِنُكُم أَنْ تُصَدِّقُوا مِقْدارَ حُبِّها الحَقيقيِّ لي. آهٍ أَيَّتُها الجَميلةُ كِيت لَقَدْ لَفَّتْ ذِراعَيْها حَوْلَ عُنُقي وَأَخَذَتْ تُقَبِّلُني مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ وَسَرْعانَ ما أَقْنَعَتْني بِأَنْ أَتَزَوَّجها يَوْمَ الأَحَدِ. قُمْ بِإِعْدادِ حَفْلِ الزِّفافِ أَيُّها الوالِدُ بابْتِسْتا وَادْعُ الضُّيوفَ. أَمَّا أَنا فَسَوْفَ أَذْهَبُ إِلى مَدينَةِ البُنْدُقيَّةِ لِأَشْتَرِيَ المَلابِسَ الجَميلَةَ لَنا، فَمِنَ الواجِبِ أَنْ تَبْدوَ كِيت في غايةِ الأَناقةِ يَوْمَ زِفافِنا.»

دَهِشَتْ كِيت غايةَ الدَّهْشَةِ لِهذِهِ السِّلْسِلةِ مِنَ الأَكاذيبِ، وَعَقَدَتِ الدَّهْشَةُ لِسانَها إِلى حين.

أَمَّا بابْتِسْتا فَلَمْ يُصَدِّقْ أُذُنَيْهِ وَقالَ: «لَسْتُ أَدْري ماذا أَقولُ، وَلكِنْ أَعْطِني يَدَكَ. آمُلُ أَنْ يَكونَ زَواجًا سَعيدًا.»

وَعِنْدَئِذٍ أَمْسَكَ بِتْرُوكْيُو بِيَدِ كِيت وَسَحَبَها إِلى خارِجِ الغُرْفةِ قائِلًا:

إِلى اللِّقاءِ يا أَبي ... إِلى اللِّقاءِ زَوْجَتي
يَوْمُ الزِّفافِ قَدْ دَنا ... وَسَوْفَ أَغْشى بَلْدَتي
لِأَشْتَري جَواهِرَ ... ثَمينَةً بِلا عَدَدْ
وأَشْتَري مَلابِسَ ... وَكُلَّ شَيْءٍ مُسْتَجَدْ
فَهاتِ كِيتُ قُبْلَةً ... زَواجُنا يَوْمَ الأَحَدْ

بَقِيَ في الغُرْفةِ بابْتِسْتا وَجرِيمْيُو وَترانْيُو وَكانَ جرِيمْيُو هُوَ أَوَّلَ

المُتَحَدِّثينَ فَقالَ:

«وَالآنَ هَلْ يُمْكِنُنا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنِ اخْتيارِ زَوْجٍ لِبِيانْكا. أَنا جارُكَ وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ طَلَبَ الزَّواجَ بِها.»

وَقالَ ترانْيُو: «وَأَنا في سِنِّ الشَّبابِ، وَسَوْفَ أَكونُ زَوْجًا أَفْضَلَ لَها.»

ثُمَّ بَدَآ يَتَحَدَّثانِ عَمَّا في وُسْعِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما أَنْ يُقَدِّمُ مِنْ أَمْوالٍ. قالَ ترانْيُو إِنَّهُ عِنْدَما يَموتُ سَوْفَ يَتْرُكُ لِبِيانْكا ثَلاثَةَ مَنازِلَ جَميلَةٍ أَوْ أَرْبَعَةً في مَدينَةِ بِيزا، وَيَتْرُكُ لَها مِنَ الأَرْضِ ما يُدِرُّ بِضْعَةَ آلافٍ مِنَ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ سَنَوِيًّا، هذا فَضْلًا عَنْ خَمْسِ سُفُنٍ تِجارِيَّةٍ كَبيرَةٍ وَعِشْرينَ سَفينَةً. وَكانَ هذا أَكْثَرَ مِمَّا لَدى جرِيمْيُو.

فَقالَ بابْتِسْتا: «لَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ عَرْضَكَ هُوَ العَرْضُ الأَفْضَلُ وَلكِنَّ أَباكَ لا يَزالُ حَيًّا. وَإِذا أَنْتَ مِتَّ قَبْلَ وَفاةِ أَبيكَ فَلَنْ تُصْبِحَ هذِهِ الثَّرْوَةُ مِنْ نَصيبِ بِيانْكا إِلَّا إِذا وَعَدَ أَبُوكَ كِتابَةً بِذلِك.»

فَقالَ ترانْيُو: «لَيْسَ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ أَموتَ قَبْلَه. فَهُوَ طاعِنٌ في السِّنِّ وَأَنا ما زِلْتُ شابًّا.»

فَقالَ جرِيمْيُو مُتَسائِلًا: «أَلا يَموتُ الشَّبابُ كَما يَموتُ الشُّيوخُ؟!»

اتَّخَذَ بابْتِسْتا قَرارَهُ فَقالَ: «أَيُّها السَّيِّدانِ، سَوْفَ تَتَزَوَّجُ كِيت يَوْمَ الأَحَدِ كَما تَعْلَمونَ، وَفي الأَحَدِ الَّذي يَليهِ سَوْفَ تَتَزَوَّجُ بِيانْكا

لُوسِنْشِيُو إذا وَعَدَ أَبوهُ ڤِنْسِينْشِيُو بِأَنْ يُعْطِيَ بِيانْكا كُلَّ تِلْكَ الثَّروةِ. أَمّا إذا لَمْ يُوافِقْ ڤِنْسِينْشِيُو عَلَى ذلِكَ فَسَوْفَ تَكونُ بِيانْكا مِنْ نَصيبِ جرِيمْيُو. وَفي كِلْتا الحالَتَيْنِ يَجِبُ الحُصولُ عَلى مُوافَقَتِها.»

اِسْتَأْذَنا في الإِنْصِرافِ. وَكانَ ترانْيُو يَقولُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُغادِرُ المَكانَ: «مِنَ المَفْرُوضِ أَنْ أَكونَ لُوسِنْشِيُو، والمَفْروضُ عَلى الشَّخْصِ المَفْروضِ عَلَيْهِ أَنْ يَكونَ لُوسِنْشِيُو أَنْ يَحْصُلَ عَلى أَبٍ يُسمَّى ڤِنْسِينْشِيُو. إنَّ هذا وَضْعٌ غَريبٌ وَلكِنَّهُ الاخْتِيارُ الوَحيدُ المُتاحُ أَمامِي الآنَ.»

بَدَأَ بابْتِسْتا يُعِدُّ العُدَّةَ لِحَفْلِ زَواجِ كِيت بَيْنَما كانَ لُوسِنْشِيُو – مُتَحِلًّا اسْمَ كامْبِيُو – وَهُورْتِنْسِيُو – مُتَحِلًّا اسْمَ لِيشْيُو – يَقُومانِ بِالتَّدْريسِ لِبِيانْكا – أَوْ بِالأَحْرَى يُحاوِلُ كُلٌّ مِنْهُما أَنْ يَسْتَميلَ قَلْبَها. وَعِنْدَما جاءَ اليَوْمُ المَوْعودُ كانَ بابْتِسْتا وابْنَتاهُ وَأَصْدِقاؤُهُ يَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ بِتْرُوكْيُو، وَطالَ انْتِظارُهُمْ. وَكانَتِ الوَليمةُ مُعَدَّةً والضُّيوفُ مُسْتَعِدِّينَ وَلكِنَّ بِتْرُوكْيُو لَمْ يَحْضُرْ.

قالَ بابْتِسْتا: «إنَّ هذا يَجْعَلُني في غايةِ الخَجَلِ.»

فَقالَتْ كِيت وَهِيَ تَبْكي: «أَنا الَّتي في غايةِ الخَجَلِ، هاأَنَذا أُرْغَمُ عَلى الزَّواجِ بِرَجُلٍ جِلْفٍ مَجْنونٍ لا أُحِبُّهُ! لَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْتُ لَكَ إنَّهُ مَجْنونٌ أَبْلَهُ، وَالآنَ سَوْفَ يُشيرُ إلَيَّ النَّاسُ قائِلينَ: «انْظُروا.. ها هِيَ ذي زَوْجَةُ بِتْرُوكْيُو المَجْنونِ. هذا إذا رَأَى أَنْ يَأْتِيَ وَيَتَزَوَّجَها، كَمْ أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّني لَمْ أَرَهُ قَطُّ.» وَانْصَرَفَتْ باكِيةً، وَتَبِعَتْها بِيانْكا الَّتي كانَتْ تُحاوِلُ التَّخْفيفَ عَنْها.

أخيرًا جاءَ بِتْرُوكْيُو. وَكانَ يَرْتَدي قُبَّعَةً جَديدةً جَميلةً وَمَلابِسَ قَديمةً مُهلْهَلةً. أَمَّا حِذاؤُهُ فَقَدْ كانَ باليًا وَمُكَوَّنًا مِنْ فَرْدَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ. وَكانَ يُمْسِكُ بِسَيْفٍ صَدِئٍ مَكْسورٍ، وَيَرْكَبُ حِصانًا عَجوزًا مُنْهَكًا عَلَيْهِ سَرْجٌ قَديمٌ مُمَزَّقٌ.

قَالَ: «لِماذا تَنْظُرونَ جَميعًا إِلَيَّ هكَذا؟»

قالَ لَهُ بابْتِسْتا: «أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا يَوْمُ زَواجِكَ. وَقَدِ انْتابَنا الحُزْنُ أَوَّلَ الأَمْرِ لِأَنَّنا اعْتَقَدْنا أَنَّكَ لَنْ تَحْضُرَ. أَمَّا الآنَ فَنَحْنُ نَشْعُرُ بِالحُزْنِ كَذلِكَ لِأَنَّكَ لَسْتَ مُسْتَعِدًّا لِعَقْدِ القِرانِ. لِماذا أَطَلْتَ التَّأْخيرَ؟»

«أَلا يَكْفي أَنّي أَتَيْتُ. لَقَدْ حَدَثَ ما أَخَّرَني، وَشَرْحُ ذلِكَ يَطولُ وَسَوْفَ أُخْبِرُ كِيت بِما حَدَثَ فِيما بَعْدُ. أَيْنَ هِيَ؟»

رَفَضَ بِتْرُوكْيُو أَنْ يُغَيِّرَ مَلابِسَهُ عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يُعْطوهُ أَفْضَلَ مِنْها، وَقالَ: «إِنَّها سَوْفَ تَتَزَوَّجُني أَنا لا مَلابِسي.» ثُمَّ انْدَفَعَ نَحْوَ الغُرْفَةِ باحِثًا عَنْ كِيت، فَلَمَّا وَجَدَها طَبَعَ عَلى وَجْنَتِها قُبْلَةً ذاتَ صَوْتٍ عالٍ، ثُمَّ جَرَّها وَراءَهُ نَحْوَ حَفْلِ الزِّفافِ.

وَكانَ سُلوكُهُ خِلالَ عَقْدِ القِرانِ فَظيعًا. وَعِنْدَما انْتَهى العَقْدُ قالَ صائِحًا: «أَنْتِ الآنَ زَوْجَتي يا كِيت.» ثُمَّ أَمْسَكَ بِرَقَبَتِها وَقَبَّلَها قُبْلَةً أُخْرى عالِيَةَ الصَّوْتِ.

كانَ الجَميعُ في انْتِظارِ بَدْءِ وَليمةِ القِرانِ، ولكِنَّ بِتْرُوكْيُو قالَ لَهُمْ: «أَيُّها السَّادةُ وَالأَصْدِقاءُ، أَنا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ أَعْدَدْتُمْ وَليمةً فاخِرةً وأَنَّكُمْ في

انْتِظارِ أَنْ تَبْدَأَ. وَلكِنْ لَيْسَ في وُسْعِ كِيت أَوْ في وُسْعي أَنْ نَنْتَظِرَ لِنُشارِكَكُمْ إِيَّاها. شُكْرًا عَلى حُضورِكُمْ حَفْلَ الزِّفافِ وَأَرْجُو أَنْ تَبْقَوا وَتَسْتَمْتِعوا بالوَليمةِ، وَادْعُوا بِالحَظِّ السَّعيدِ لِزَوْجَتي أَكْثَرِ الزَّوْجاتِ صَبْرًا وَجَمالًا وَأَخْلاقًا. إِلَى اللِّقاءِ.»

رَجَوْهُ جَميعًا أَنْ يَنْتَظِرَ، وَلكِنَّهُ قالَ إِنَّ ذلِكَ مُسْتَحيلٌ. وَأَخيرًا تَحَدَّثَتْ كِيت وَقالَتْ: «إذا كُنْتَ تُحِبُّني حَقًّا فَانْتَظِرْ.»

فَكانَ رَدُّهُ الوَحيدُ: «أَحْضِرِ الخَيْلَ يا جرُومْيُو.»

عِنْدَئِذٍ فَقَدَتْ كِيت أَعْصابَها وَقالَتْ: «أَنا لَنْ أَذْهَبَ اليَوْمَ وَلا غَدًا. لَنْ أَذْهَبَ إِلَّا حِينَ أُقَرِّرُ ذلِكَ. إِنَّ البابَ مَفْتوحٌ يا سَيِّدي فَاذْهَبْ أَيْنَ تَشاءُ.» وَأَشارَتْ نَحْوَ الطَّريقِ المُؤَدِّي إلى خارِجِ مَدينةِ بادُوَا.

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «لا تَغْضَبي يا كِيت.»

فَصاحَتْ: سَوْفَ أَغْضَبُ. أَيُّها السَّادةُ، تَفَضَّلوا إِلى الوَليمةِ وَسَوْفَ نَتْبَعُكُمْ.» أَجابَ بِتْرُوكْيُو عَلَى ذلِكَ قائِلًا: «تَفَضَّلوا إِلى وَليمةِ العُرْسِ، وَلكِنْ عَلى زَوْجَتي الجَميلةِ كِيت أَنْ تَأْتِيَ مَعي. إِنَّها تَنْتَمي إِلَيَّ الآنَ، وَعَلَيَّ أَنْ أَحْمِيَها. اِمْتَشِقْ حُسامَكَ (سُلَّ سَيْفَكَ) يا جرُومْيُو وَساعِدْني في إِنْقاذِ سَيِّدَتِكَ. كِيت يا حَبيبَتي، لا تَخافِي، سَوْفَ نُنْقِذُكِ.»

ثُمَّ قامَ هُوَ وَجرُومْيُو بِالتَّلْويحِ بِسَيْفَيْهِما في الهَواءِ، وَسَحْبِ كِيت إِلى الخارِجِ لإِنْقاذِها.



كانَ خَدَمُ بِتْروكْيُو في انْتِظارِ وُصولِ سَيِّدِهِمْ وَزَوْجَتِهِ إلى بَيْتِهِ الرِّيفيِّ بِإحْدَى ضَواحِي مَدينَةِ ڤِيرُونا.

كانَ جرُومْيُو أَوَّلَ الحاضِرينَ فَصاحَ في الخَدَمِ: «هَلْ أَعْدَدْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ؟»

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَحَدُ الخَدَمِ: «نَعَمْ، وَلكِنْ أَيْنَ هُما؟»

فَقالَ جرُومْيُو: «آهٍ.. لَقَدْ وَقَعَتْ حادِثَةٌ بَسيطَةٌ؛ فَبَيْنَما كانَ سَيِّدي وَسَيِّدَتي يَهْبِطانِ مِنْ أَعْلى التَّلِّ في طَريقٍ زَلِقٍ مُوحِلٍ سَقَطَ جَوادُهُما.»

«هَلْ كانا فَوْقَ جَوادٍ واحِدٍ؟»

«كانا فَوْقَ جَوادٍ واحِدٍ، وَقَدْ سَقَطَتْ كِيت في الوَحْلِ وَالجوادُ فَوْقَها، وَتَلَطَّخَ رِداؤُها كُلُّهُ بِالوَحْلِ. وَلكِنَّ سَيِّدي تَرَكَها والجَوادُ فَوْقَها، ثُمَّ بَدَأَ يَضْرِبُني لِأَنَّ الجَوادَ سَقَطَ. فَما كانَ مِنْ سَيِّدَتي إلَّا أَنْ حاوَلَتْ جَهْدَها لِلنُّهوضِ مِنْ تَحْتِ الجَوادِ، وَأَسْرَعَتْ وَسْطَ الوَحْلِ لِتُوقِفَهُ عَنْ ضَرْبي. وَلكِنَّهُ واصَلَ الضَّرْبَ وَالسِّبابَ حَتَّى بَكَيْتُ. وَتَوَسَّلَتْ سَيِّدَتي إلَيْهِ أَنْ يَتَوَقَّفَ. وَأَثْناءَ ذلِكَ فَرَّ الجَوادُ، وَهُما الآن يَقْطَعانِ الطَّريقَ عَلى الأَقْدامِ.»

وَجاءَ مِنَ الخارِجِ صِياحٌ أَشْبَهُ بالزَّئيرِ يَقُولُ: «أَيْنَ أُولئِكَ الخَدَمُ الَّذينَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكونُوا بِالبابِ؟»

فَأَسْرَعوا إلى البابِ، وَقاموا بِتَحيَّةِ سَيِّدِهِم الَّذي كانَ في غايَةِ الغَضَبِ، وَسَيِّدَتِهِم الَّتي كانَتْ ثِيابُها كُلُّها مُلَطَّخَةً بِالوَحْلِ.



فَصاحَ بِهِمْ غاضِبًا: «تَنَحَّوْا عَنْ طَرِيقِنا! أَلا تَرَوْنَ أَنَّنا مُلَطَّخانِ بِالوَحْلِ؟ أَحْضِرُوا الماءَ، وَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ بِنَزْعِ حِذائي. اِجْلِسِي يا جَميلَتِي كِيت وَمَرْحَبًا بكِ في بَيْتِكِ الجَديدِ. لا أَيُّها الغَبِيُّ - أَنْتَ تُؤْلِمُ قَدَمي.» ثُمَّ انْهالَ بِالضَّرْبِ عَلى الخادِمِ الَّذي كانَ يُحاوِلُ نَزْعَ حِذائِهِ. «آمُلُ أَنْ تَكوني سَعيدَةً هُنا يا كِيت. أَيْنَ الماءُ؟ أَسْرِعوا.»

فَجاءَ أَحَدُ الخَدَمِ يَحْمِلُ إناءً فِيهِ ماءٌ.

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «هَيَّا يا كِيت. إِلَيْكِ بَعْضَ الماءِ لِتَغْسِلي يَدَيْكِ فيهِ. أَرْجُو أَنْ يَكونَ الماءُ دافِئًا بِدَرَجةٍ مُناسِبَةٍ.»

ووَضَعَ بِتْرُوكْيُو يَدَهُ في الماءِ لِيَرى دَرَجةَ حَرارَتِهِ، فَمالَ الإِناءُ في يَدِ الخادِمِ قَليلًا، وسَقَطَ قَدْرٌ مِنَ المَاءِ عَلى كِيت. فَلَطَمَ بِتْرُوكْيُو الرَّجُلَ بِعُنْفٍ وَقالَ لَهُ: «أَيُّها الغَبِيُّ الشِّرِّيرُ.»

فَقالَتْ كِيت: «أَرْجُوكَ لا تُؤْذِهِ. إِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذلِكَ.»

«إِنَّهُ غَبِيٌّ لا عَقْلَ لَهُ. وَلكِنِ اجْلِسِي يا عَزيزَتي كِيت. سَوْفَ نَتناوَلُ بَعْضَ الطَّعامِ. لا بُدَّ أَنَّكِ جائِعةٌ.» ثُمَّ قادَها إِلى المائِدَةِ، وَلكِنَّهُ صاحَ في غَضَبٍ: «ما هذا؟ هَلْ هذا لَحْمٌ؟ إِنَّهُ مُحْتَرِقٌ! وَكَذلِكَ كُلُّ هذا الطَّعامِ! كَيْفَ تَجْرُؤُون أَنْ تُعِدُّوا هذا الطَّعامَ لِسَيِّدَتِكُمُ الجَديدةِ؟!» ثُمَّ أَلْقى بِالأَطْباقِ وَبِما تَحْتَويهِ مِنَ الطَّعامِ عَلَيْهِمْ.

فَقالَتْ كِيت: «أَرْجوكَ يا زَوْجي، لا تَغْضَبْ هكَذا. لَمْ يَكُنِ الطَّعامُ في الحَقيقَةِ رَديئًا جِدًّا.» فَقَدْ كانَتْ في غايَةِ الجُوعِ.



«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَيِّدًا بِدَرَجَةٍ تَليقُ بِكِ يا كِيت. وَلكِنِ اصْبِري. سَوْفَ يَكونُ الطَّعامُ أَفْضَلَ غَدًا. انْتَظِري هذِهِ اللَّيْلَةَ فَقَطْ، رُبَّما كانَ مِنَ الأَفْضَلِ لَنا أَلَّا نَأْكُلَ شَيْئًا اللَّيْلَةَ. تَعالَيْ مَعي وَسَوْفَ أُريكِ غُرْفَةَ نَوْمِنا.»

تَبِعَتْهُ كِيت إلى خارِجِ الغُرْفةِ وَلَمْ تَقُلْ شَيْئًا. وَنَظَرَ الخَدَمُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ وَأَخَذوا يَضْحَكُونَ.

في غُرْفةِ النَّوْمِ نَظَرَ بِتْرُوكْيُو إلى سَريرِهِ الضَّخْمِ وَوَجَدَ كَذلِكَ ما يُغْضِبُهُ. لَمْ تَكُنِ الوسادةُ ناعِمةً تَمامًا حَتَّى تَليقَ بِرَأْسِ كِيت الجَميلِ. وَسَرْعانَ ما أَلْقى بِها مِنَ النَّافِذةِ. وَلَمْ تَكُنِ المُلاءاتُ مِنَ النَّظافةِ بِحَيْثُ تَليقُ بِكِيت الجَميلةِ، فَأَلْقى بِها في وَجْهِ الخادِمةِ المِسْكينةِ الَّتي كانَتْ تَرْتَعِدُ مِنَ الخَوْفِ. أَمَّا السَّريرُ نَفْسُهُ فَلَمْ يَكُنْ يَليقُ بِزَوْجَتِهِ الجَميلةِ، فَأَخَذَ يَدْفَعُهُ وَيَرْفُسُهُ بِقَدَمِهِ.

أَخَذَ طَوالَ اللَّيْلِ يَعيبُ عَلى العَديدِ مِنَ الأَشْياءِ الَّتي لَمْ تَكُنْ تَليقُ بِحَبيبَتِهِ كِيت الطَّيِّبةِ الجَميلةِ. وَكانَ يَصيحُ وَيَلْعَنُ الخَدَمَ وَيَسُبُّهُمْ لِذلِكَ وَيَعِدُ كِيت بِأَنَّها سَوْفَ تَجِدُ الأَشْياءَ أَفْضَلَ في اليَوْمِ التَّالي.

أَخَذَتْ طِباعُ كِيت في الهُدوءِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَكانَ هُوَ يَقولُ لِنَفْسِهِ: «هكَذا بِالحَنانِ يُمْكِنُ أَنْ تَقْهَرَ الزَّوْجةَ.»

في هذِهِ الأَثْناءِ كانَ لُوسِنْشِيُو - مُتَنَحِّلًا اسْمَ كامْبيو - قَدْ بَدَأَ في بادُوَا يَكْسِبُ حُبَّ بيانْكا. أَمَّا هُورْتِنْسِيُو فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ مُحاوَلَتَهُ الَّتي يَقومُ بِها مُتَنَحِّلًا اسْمَ لِيشْيُو قَدْ باءَتْ بِالفَشَلِ، وَلِذلِكَ قالَ لِترانْيُو: «هُناكَ سَيِّدةٌ غَنِيَّةٌ في بادُوَا ماتَ زَوْجُها الأَوَّلُ مُنْذُ سَنَواتٍ

قَليلةٍ. وَهذِهِ السَّيِّدةُ الغَنِيَّةُ الأَرْمَلة تُحِبُّني، وَلكِنِّي كُنْتُ أَخْشى الزَّواجَ بِها لِأَنَّ لَها إرادةً صُلْبَةً لِلْغايةِ. أَمَّا الآنَ وَقَدْ فَقَدْتُ كُلَّ أَمَلٍ في أَنْ تُحِبَّني بِيانْكا، فَسَوْفَ أَتَزَوَّجُ هذِهِ الأَرْملةَ. وَقَبْلَ أَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ عَلَيَّ أَنْ آخُذَ دَرْسًا مِنْ بِتْروكْيُو إذْ يُمْكِنُهُ أَنْ يُرِيَني طَرِيقةَ التَّعامُلِ مَعَ المَرْأَةِ ذاتِ الإِرادةِ الصُّلْبةِ.»

كانَ لِترانْيُو مُشْكِلَتُهُ الخاصَّةُ، إذْ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ شَخْصٍ يَقومُ بِدَوْرِ ڤِنْسِينْشِيُو كَيْ يَتَحَدَّثَ إلى بابْتِسْتا. وَأَخيرًا تَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يَجِدَ شَخْصًا عَجوزًا في غايةِ الوَقارِ كانَ قَدْ وَصَلَ لِتَوِّهِ إلى بادُوَا.

قالَ لَهُ ترانْيُو: «مَرْحَبًا بِكَ في مَدِينَتِنا بادُوَا الجَمِيلةِ. هَلْ جِئْتَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ قائِلًا: «لَقَدْ جِئْتُ مِنْ بَيْتي في مانْتُوَا.»

فَتَعَجَّبَ ترانْيُو وَتَظاهَرَ بِالانْزِعاجِ وَقالَ: «مانْتُوَا؟ أَنْتَ مِنْ مانْتُوَا وَقَدْ جِئْتَ إلى بادُوَا؟ أَلا تَخْشَى عَلى حَياتِكَ؟»

«حَياتي يا سَيِّدي؟ أَنا لا أَفْهَمُ ما تَقولُ.»

«رُبَّما حَدَثَ ذلِكَ وَأَنْتَ في الطَّرِيقِ، وهذا سَبَبُ عَدَمِ مَعْرِفَتِكَ بِهِ. لَقَدْ حَدَثَ شِجارٌ عَنيفٌ بَيْنَ حاكِمَيْ مانْتُوَا وَبادُوَا. وَلِهذا فَقَدْ صَدَرَ أَمْرٌ بِإِعْدامِ كُلِّ شَخْصٍ مِنْ أَهالي مانْتُوَا يَكونُ مَوْجُودًا في بادُوَا.»

اِنْزَعَجَ الرَّجُلُ العَجوزُ لِهذا الخَبَرِ انْزِعاجًا شَديدًا وَسَأَلَ: «كَيْفَ أَنْجو مِنْ هذا الوَضْعِ؟ إنَّ لَدَيَّ ما أُرِيدُ إنْجازَهُ بِالمَدينةِ.»

«أَعْطِني فُرْصةً لِلتَّفْكيرِ...نَعَمْ.. هَلْ ذَهَبْتَ مَرَّةً إلى بِيزَا؟»

«نَعَمْ، لَقَدْ ذَهَبْتُ كثيرًا إلى هُناكَ.»

«هَلْ تَعْرِفُ ڤِنسِينْشِيُو؟»

«ڤِنْسِينْشِيُو أَحَدُ أَثْرِياءِ بِيزَا؟ أنا لا أَعْرِفُهُ شَخْصِيًّا، وَلكِنِّي كَثيرًا ما سَمِعْتُ عَنْهُ. إنَّهُ في غايةِ الثَّراءِ كَما يَقولُ النَّاسُ عَنْهُ.»

فَقالَ ترانْيُو: «نَعَمْ، هذا صَحيحٌ - إنَّهُ أَبي وَأَنْتَ تُشْبِهُهُ إلى حَدٍّ ما وأَعْتَقِدُ أَنَّ في وُسْعي أَنْ أُنْقِذَ حياتَكَ. سَوْفَ تَدَّعي أَنَّكَ ڤِنسِينْشِيُو وَتَمْكُثُ مَعي في بَيْتي. هَلْ تَقْبَلُ هذا العَرْضَ؟»

«سَوْفَ أَقْبَلُهُ يا سَيِّدي، وَسَأَدينُ لَكَ دائِمًا بِالشُّكْرِ.»

«إذًا تَعالَ مَعي، وَيَحْسُنُ أَنْ أُخبِرَكَ أَنَّنا نَتَوَقَّعُ في الحَقيقةِ أَنْ يَأْتِيَ أَبي إلى هُنا. وَالهَدَفُ مِنْ مَجيئِهِ أَنْ يَقومَ بإعْدادِ بَعْضِ الإِجْراءاتِ الخاصَّةِ بِزَواجي بِابْنَةِ رَجُلٍ يُسَمَّى بابْتِسْتا. ولكِنِّي سَوْفَ أُخْبِرُكَ عَنْ ذلِكَ فِيما بَعْدُ. وَلْنَذْهَبِ الآنَ لِنُلْبِسَكَ مَلابِسَ رَجُلٍ ثَرِيٍّ.»

في بَيْتِ بِتْرُوكْيُو كانَتْ كِيت تَشْعُرُ بِالجُوعِ الشَّديدِ، فَسَأَلَتْ جرُومْيُو أَنْ يُحْضِرَ لَها بَعْضَ الطَّعامِ، وَقالَتْ لَهُ: «إنِّي أَكادُ أَموتُ مِنَ الجوعِ، وَيَكادُ يُغْمَى عَلَيَّ مِنْ قِلَّةِ النَّوْمِ. وَهُوَ يُبْعِدُ عَنِّيَ الطَّعامَ وَالنَّوْمَ لِأَنَّهُ يُحِبُّني كَما يَقولُ.»

فَسَأَلَها جرُومْيُو: «ما رَأْيُكِ في قِطْعةٍ مِنَ اللَّحْمِ عَلَيْها بَعْضُ الخَرْدَلِ؟»

«إِنَّهُ طَعامٌ أُحِبُّ أَنْ آكُلَهُ.»

«وَلكِنَّ الخَرْدَلَ مِنَ التَّوابِلِ الحِرِّيفَةِ بَعْضَ الشَّيْءِ.»

فَقالَتْ كِيت: «إِذًا فَهاتِ اللَّحْمَ بِدُونِ خَرْدَلٍ.»

«لا، يَجِبُ أَنْ تَأْخُذي الخَرْدَلَ أَيْضًا وَإِلَّا فَلَنْ يُمْكِنَنِي أَنْ أُحْضِرَ لَكِ اللَّحْمَ.»

فَأَزْدادَ غَضَبُ كِيت وَقالَتْ: «فَلْتُحْضِرْهُما لِي، أَوْ تُحْضِرْ أَحَدَهُما أَوْ تُحْضِرْ أَيَّ شَيءٍ تُحِبُّهُ.»

«إِذًا فَسَوْفَ أُحْضِرُ لَكِ الخَرْدَلَ بِدُونِ اللَّحْمِ.»

عِنْدَما جاءَ بِتْرُوكْيُو كانَ يَصْحَبُهُ هُورْتِنْسِيُو، وَرَأَيا كِيت تَجْرِي وَراءَ جِرُومْيُو وَهِيَ تَضْرِبُهُ. وَكانَ بِتْرُوكْيُو وَصَدِيقُهُ يَحْمِلانِ بَعْضَ الطَّعامِ، فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «آهِ يا جَمِيلَتِي كِيت هَلْ أَنْتِ غَيْرُ سَعِيدةٍ؟ اُنْظُري، لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكِ طَعامًا أَعْدَدْتُهُ بِنَفْسِي.»

فَلَمْ تَقُلْ كِيت شَيْئًا.

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «ماذا؟ وَلا كَلِمةً واحِدةً؟ إِنَّكِ لا تُحِبِّينَهُ؟ هاكَ!» وَأَعْطَى جِرُومْيُو الطَّبَقَ قائِلًا: «اِرْجِعْ بِهِ.»

فَصاحَتْ كِيت: «لا! اُتْرُكْهُ هُنا مِنْ فَضْلِكَ.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «عادَةً يَتَوَجَّهُ النَّاسُ بِكَلِمَةِ شُكْرٍ لِمَنْ يُقَدِّمُ لَهُمْ شَيْئًا.» فَنَظَرَتْ كِيت إِلى الأَرْضِ وَقالَتْ: «شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدي.»

عَرَضَ هُورْتِنْسِيُو أَنْ يُشارِكَ كِيت في تَناوُلِ الطَّعامِ. وَما إِن بَدَآ يأْكُلانِ حَتَّى اسْتَدْعى بِتْرُوكْيُو رَجُلًا كانَ قَدْ أَعَدَّ بَعْضَ المَلابِسِ لِتَرْتَدِيَها كِيت، وَكانَ عَلَيْها أَنْ تَتَفَرَّجَ عَلى هذِهِ المَلابِسِ في الوَقْتِ الَّذي الْتَهَمَ فِيهِ هُورْتِنْسِيُو الطَّعامَ كُلَّهُ.

قالَ بِتْرُوكْيُو: «وَالآنَ يا حَبِيبَتي يُمْكِنُنا أَنْ نَعودَ إِلى بَيْتِ أَبيكِ وَأَنْتِ مُرْتَديةٌ أَفْخَرَ الثِّيابِ.» ثُمَّ طَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يُرِيَهُما ما عِنْدَهُ، فَفَتَحَ الرَّجُلُ حَقِيبَتَهُ وَأَخْرَجَ قُبَّعَةً جَميلةً. لَقَدْ كانَتْ قُبَّعَةً صَغِيرةً جَميلةَ الصُّنْعِ مُطَرَّزَةً بِأَحْدَثِ تَطْريزٍ. وَلَمْ تَرَ كِيت مِنْ قَبْلُ قُبَّعَةً أَجْمَلَ مِنْها.

لكِنَّ بِتْرُوكْيُو زَأَرَ قائِلًا: «ما هذا؟ نَحْنُ لا نُرِيدُ قُبَّعَةَ طِفْلٍ. خُذْها بَعيدًا وَأَحْضِرْ قُبَّعَةً أَكْبَرَ.»

فَقالَتْ كِيت: «لا، إِنَّ السَّيِّداتِ يَلْبَسْنَ اليَوْمَ قُبَّعاتٍ مِنْ هذا النَّوْعِ. أَنا لا أُريدُ قُبَّعَةً أَكْبَرَ مِنْها.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «أَنْتِ عَلى صَوابٍ. لَكَمْ سَرَّني أَنَّكِ لا تُحِبِّينَ هذِهِ القُبَّعَةَ.» ثُمَّ قالَ لِلرَّجُلِ: «أَرِنا الرِّداءَ.»

لَقَدْ كَانَ رِداءً رائِعًا مُمْتازَ الصُّنْعِ مِنْ أَفْضَلِ أَنْواعِ الأَقْمِشَةِ. وَلَمْ يَكُنْ لَدى سَيِّدَةٍ في إِيطالْيا كُلِّها رِداءٌ يُدانِيهِ، وَلِهذا فَقَدْ أُعْجِبَتْ بِهِ كِيت إِعْجابًا شَديدًا.

وَلكِنَّ بِتْرُوكْيُو صاحَ بِالرَّجُلِ قائِلًا: «أَيُّها الشِّرِّيرُ! هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ مِثْلَ هذا الشَّيْءِ يَليقُ بِزَوْجَتي؟!» ثُمَّ طَرَدَ الرَّجُلَ مِنَ الغُرْفةِ.

كانَ بِتْرُوكْيُو قَدْ أَعَدَّ هذِهِ الخُطَّةَ مَعَ هُورْتِنْسِيُو، وَقَبْلَ أَنْ يُغادِرَ الرَّجُلُ البَيْتَ كانَ هُورْتِنْسِيُو قَدْ دَفَعَ لَهُ ثَمَنَ الرِّداءِ وَلَمْ تَكُنْ كِيت تَعْرِفُ

هذا. وَكُلُّ ما كانَتْ تَعْرِفُهُ أَنَّها كانَتْ تُعانِي مِنَ الجُوعِ وَأَنَّها لَمْ تَحْصُلْ عَلَى مَلابِسَ جَدِيدَةٍ لِتَرْتَدِيَها.

لِنَرْجِعِ الآنَ إلى بادُوَا حَيْثُ قامَ ترانْيُو بِاصْطِحابِ الرَّجُلِ العَجوزِ الَّذي كانَ قَدْ جاءَ مِنْ مَانْتُوا وَذَهَبَ مَعَهُ إلى بَيْتِ بابْتِسْتا.

وَسَرْعَان ما تَمَكَّنَ الرَّجُلُ العَجوزُ الَّذي انْتَحَلَ شَخْصِيَّةَ ڤِنْسِينْشِيُو مِنْ أَنْ يُقْنِعَ بابْتِسْتا بِأَنْ يُوافِقَ عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَ لُوسِنْشِيُو بِيانْكا. وَهكَذا أَرْسَلَ بابْتِسْتا أَمْرَهُ إلى ابْنَتِهِ بِيانْكا أَنْ تَسْتَعِدَّ. وَكانَ الشَّخْصُ الَّذي ذَهَبَ إِلَيْها حامِلًا هذا الأَمْرَ هُوَ كامْبِيُو الَّذي كانَ في حَقيقَةِ الأَمْرِ لُوسِنْشِيُو نَفْسَهُ. وَقامَ بابْتِسْتا كَذلِكَ بِإِرْسالِ أَحَدِ خَدَمِهِ لِيُعِدَّ لِعَقْدِ قِرانِ بِيانْكا عَلى لُوسِنْشِيُو. ثُمَّ ذَهَبَ إِثْرَ ذلِكَ مَعَ ترانْيُو وَالرَّجُلِ العَجُوزِ إلى بَيْتِ لُوسِنْشِيُو كَيْ يَقُومُوا بِإِنْهاءِ الإِجْراءاتِ المالِيَّةِ المُرْتَبِطَةِ بِمَوْضوعِ الزَّواجِ.

أَمّا بِتْرُوكْيُو وَكِيت وَهُورْتِنْسِيُو فَقَدْ كانُوا في طَرِيقِهِمْ إلى بادُوَا. وَكانَتِ الشَّمْسُ لامِعةً مُضِيئَةً.

قالَ بِتْرُوكْيُو: «سَوْفَ يُسَرُّ أَبُوكِ لِرُؤْيَتِنا يا كِيت. إِنَّ القَمَرَ جَميلٌ لامِعٌ، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟»

«القَمَرُ؟ أَنْتَ تَعْنِي الشَّمْسَ. لَيْسَ هذا ضَوْءَ القَمَرِ الآنَ.»

«أَنا أَقولُ إِنَّهُ القَمَرُ هُوَ الَّذي يَسْطَعُ هكَذا بِنُورِه البَهِيِّ.»

«وأَنا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّمْسَ هِيَ الَّتي تَسْطَعُ هكذا بِنورِها المُشْرِقِ.»

فَغَضِبَ بِتْرُوكْيُو وَقالَ: «اسْتَمِعي إِلَيَّ الآنَ: إِنَّهُ القَمَرُ أَوِ النَّجْمُ

أَوْ أَيُّ شَيْءٍ أُريدُهُ. إذا لَمْ تُوافِقِي عَلى ما أَقولُ فَلَنْ نَذْهَبَ إلى بَيْتِ أَبيكِ. هَيّا بِنا نَرْجِعْ.»

فَهَمَسَ هُورْتِنْسِيُو إلى كِيت قائلًا: «وافِقيهِ وَإلَّا فَلَنْ نَذْهَبَ أَبَدًا.»

فَقَالَتْ كِيت: «أَرْجُوكَ أَنْ تُواصِلَ السَّيْرَ ما دُمْنا قَدْ سِرْنا كُلَّ هذا الطَّريقِ. يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ القَمَرَ أَوِ النَّجْمَ أَوْ أَيَّ شَيْءٍ تَقولُهُ. بَلْ يُمْكِنُ أَنْ تكونَ شَمْعَةً إذا أَرَدْتَ.»

«أَنا أَقولُ إِنَّهُ القَمَرُ.»

فَوافَقَتْ كِيت قائِلةً: «أَعْلَمُ أَنَّهُ القَمَرُ.»

«أَنْتِ لا تَقُولينَ الصِّدْقَ. إِنَّها الشَّمْسُ.»

«الحَمْدُ لِله إذًا - إِنَّها الشَّمْسُ. وَلكِنَّها لَنْ تكونَ الشَّمْسَ إذا قُلْتَ غَيْرَ ذلِكَ. سَوْفَ أُطْلِقُ عَلَيْها مِنَ الآنَ فَصاعِدًا الاسْمَ الَّذي تُريدُ أَنْ تُطْلِقَهُ عَلَيْها.»

في نَفْسِ الطَّريقِ الَّذي يَسْلُكُونَهُ كانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ كَبيرُ السِّنِّ يُسافِرُ مَعَ خَدَمِهِ، وَعِنْدَما الْتَقى الفَريقانِ قالَ بِتْرُوكْيُو لِلرَّجُلِ المُسِنِّ: «صَباحَ الخَيْرِ أَيَّتُها الفَتاةُ اللَّطيفةُ. إلى أَيْنَ تَذْهَبينَ؟» ثُمَّ قالَ لِكِيت: «أَخْبِريني أَيْ كِيت الجَميلةُ، هَلْ رَأَيْتِ قَطُّ فَتاةً أَجْمَلَ مِنْ هذِهِ الفَتاةِ؟»

فَابْتَسَمتْ كِيت ابْتِسامةً لَطيفةً لِلرَّجُلِ المُسِنِّ وَقالَتْ: «إلى أَيْنَ تَذْهَبينَ أَيَّتُها الفَتاةُ الجَميلةُ الصَّغيرةُ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ ما أَسْعَدَ

والِدَيْكِ لِأَنَّ لَهُما مِثْلَ هذِهِ الابْنَةِ الجَميلةِ!»

فَنَظَرَ بِتْرُوكْيُو إِلَيْها في دَهْشةٍ وَقالَ: «أَرْجُو أَلَّا يَكونَ الجُنونُ قَدْ أَصابَكِ يا كِيت. هذا رَجُلٌ طاعِنٌ في السِّنِّ ولَيْسَ فَتاةً جَميلةً صَغيرةً.»

فَقالَتْ كِيت: «أَرْجو المَعْذِرةَ يا سَيِّدي الشَّيْخَ. إنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ اللَّامِعَ يَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ يَبْدو صَغيرَ السِّنِّ. لَقَدْ أَدْرَكْتُ الآنَ أَنِّي وَقَعْتُ في خَطَإٍ كَبيرٍ. أَنْتَ والِدٌ في غايةِ الاحْتِرامِ.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «نَعَمْ، أَرْجُو أَنْ تُسامِحَها. وَلْتَتَفَضَّلْ بِالسَّيْرِ مَعَنا إذا كُنْتَ قاصِدًا نَفْسَ المَكانِ. إنَّ صُحْبَتَكَ لَنا سَوْفَ تُمْتِعُنا.»

فَقالَ الرَّجُلُ المُسِنُّ: «أَيُّها السَّيِّدُ الكَريمُ وَأَيَّتُها السَّيِّدةُ الفاضِلةُ، إنَّ اسْمِي فِنْسِينْشِيُو وَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ بِيزَا قاصِدًا مَدِينةَ بادُوَا وَأَنا ذاهِبٌ هُناكَ لِأَزورَ ابْني.»

فَسَأَلاهُ: «ما اسْمُهُ؟»

«لُوسِنْشِيُو.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «رائِعٌ! نَحْنُ سُعَداءُ بِلِقائِكَ، لَقَدْ صَدَقَتْ زَوْجَتي عِنْدَما لَقَّبَتْكَ بِاسْمِ الوالِدِ إذْ إنَّ هُناكَ احْتِمالًا أَنْ يَقومَ ابْنُكَ بِالزَّواجِ بِأُخْتِها. أَرْجُو أَلَّا تَشْعُرَ بِالقَلَقِ لِهذا الخَبَرِ، فَهِيَ فَتاةٌ صَغيرةٌ عائِلَتُها مُمْتازةٌ وَغَنِيَّةٌ وَالفَتاةُ جَديرةٌ بِأَنْ تَكونَ زَوْجةَ ابْنِكَ.»

في هذِهِ الأَثْناءِ كانَ لُوسِنْشِيُو الحَقيقيُّ قَدْ أَخَذَ بِيانْكا لِعَقْدِ قِرانِهِما. وفي نَفْسِ الوَقْتِ كانَ ترانْيُو - الَّذي كانَ يَنْتَحِلُ شَخْصِيَّةَ

لُوسِنْشِيُو - وَالرَّجُلُ العَجوزُ - الَّذي كانَ يَنْتَحِلُ شَخْصِيَّةَ ڤِنسِينْشِيُو - مُجْتَمِعَيْنِ في بَيْتِ لُوسِنْشِيُو.

كانَ الاجْتِماعُ ما زالَ مُنْعَقِدًا عِنْدَما وَصَلَ بِتْرُوكْيُو وَكِيت إلى البَيْتِ وَمَعَهُما ڤِنسِينْشِيُو الحَقِيقيُّ.

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «هذا بَيْتَ لُوسِنْشِيُو يا سَيِّدي.» ثُمَّ طَرَقَ البابَ بِشِدَّةٍ.

فَنَظَرَ الرَّجُلُ العَجوزُ مِنْ إحْدى النَّوافِذِ وَسَأَلَ: «ماذا تُريدُ؟»

فَصاحَ بِتْرُوكْيُو: «قُلْ لِلُوسِنْشِيُو إنَّ أَباهُ قَدْ وَصَلَ مِنْ بِيزَا وَإنَّهُ هُنا.»

فَقالَ الرَّجُلُ العَجوزُ: «أَنْتَ تَكْذِبُ. أَنا أَبوهُ.» ثُمَّ تَرَكَ النَّافِذَةَ وَبَعْدَ قَليلٍ خَرَجَ إلى الشَّارِعِ وَمَعَهُ ترانْيُو وَبابْتِسْتا.

عِنْدَئِذٍ تَراجَعَ بِتْرُوكْيُو وَكِيت وَانْتَظَرا لِيَرَيا ما سَيَحْدُثُ. أَدْرَكَ ترانْيُو أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُواصِلَ التَّظاهُرَ حَتَّى يُعْطِيَ لُوسِنْشِيُو الحَقِيقيَّ فُرْصَةً كافِيَةً لِلزَّواجِ بِبِيانْكا. أَمَّا الرَّجُلُ العَجوزُ فَكانَ لا يَزالُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَكونُ في خَطَرٍ إذا انْكَشَفَ أَمْرُهُ وَعَرَفُوا أَنَّهُ لَيْسَ ڤِنسِينْشِيُو.

في نَفْسِ الوَقْتِ كانَ ڤِنسِينْشِيُو الحَقِيقيُّ في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَبَدَأَ الغَضَبُ يَتَمَلَّكُهُ.

لكِنَّ المُناقَشَةَ حُسِمَتْ بِحُضُورِ لُوسِنْشِيُو وَبِيانْكا وَقَدْ أَمْسَكَ كُلٌّ مِنْهُما بِيَدِ الآخَرِ.

«أَسْتَميحُكَ العُذْرَ (أَطْلُبُ مِنْكَ المَعْذِرَةَ) يا أَبي.» وَرَكَعَ

لُوسِنْشِيُو أَمامَ والِدِهِ ڤِنسِينْشِيُو.

وَقالَتْ بِيانْكا لِبابْتِسْتا: «أَسْتَميحُكَ العُذْرَ يا أَبي.»

فَسَأَلَها بابْتِسْتا: «لِماذا؟ أَيُّ خَطَإٍ فَعَلْتِ؟ أَيْنَ يَذْهَبُ لُوسِنْشِيُو؟» وَقَدْ سَأَلَ هذا السُّؤالَ الأخيرَ عِنْدَما رَأى ترانْيُو وَالرَّجُلَ العَجوزَ يَجْريانِ بِأَقْصى سُرْعَةٍ.

وَجاءَ الجَوابُ مِنْ لُوسِنْشِيُو الحَقيقيِّ: «هاأَنَذا الابْنُ الحَقيقيُّ لِهذا السَّيِّدِ، ڤِنسِينْشِيُو الحَقيقيِّ، وعَلَيَّ أَنْ أَعْتَرِفَ أَنَّني قَدْ تَزَوَّجْتُ ابْنَتَكَ في الفَتْرَةِ الَّتي كانَ فِيها خادِمي ترانْيُو وَذلِكَ الرَّجُلُ العَجوزُ يَخْدَعانِكَ.»

فَقالَ بابْتِسْتا في غَضَبٍ: «لَقَدْ تَزَوَّجْتَ ابْنَتي دُونَ إِذْنٍ مِنِّي.»

وَلكِنَّ ڤِنسِينْشِيُو قالَ مُهَدِّئًا لَهُ: «لا تَخَفْ يا بابْتِسْتا. سَوْفَ أَقومُ بِإِصْلاحِ كُلِّ شَيْءٍ. وَعَلَيْنا أَنْ نَدْخُلَ جَميعًا إِلى البَيْتِ.»

فَدَخَلَ بابْتِسْتا وَڤِنسِينْشِيُو وتَبِعَهُما لُوسِنْشِيُو وَبِيانْكا. وَكانَ لُوسِنْشِيُو يَقولُ: «إِنَّكِ تَبْدينَ شاحِبَةَ الوَجْهِ يا بِيانْكا. وَلكِنْ لَيْسَ هُناكَ ما يَدْعُو لِذلِكَ. لَنْ يَغْضَبَ أَبُوكِ لِما حَدَثَ.»

قالَتْ كِيت: «هَيَّا بِنا يا زَوْجي لِنَرى نِهايَةَ هذا الوَضْعِ.»

«أَوَّلًا، قَبِّليني يا كِيت وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ نَمْضي.»

«مَاذا؟! في عُرْضِ الشَّارِعِ؟»

«أَتَخْجَلينَ مِنِّي؟»

«لا، بِكُلِّ تَأْكيدٍ، وَلكِنِّي أَخْجَلُ أَنْ أُقَبِّلَكَ عَلَنًا.»



فَنَظَرَ بِتْرُوكْيُو إِلَيْها وَقالَ: «إذا كانَ الأَمْرُ كَذلِكَ فَهَيّا بِنا نَرْجِعْ إلى بَيْتِنا ثانِيَةً.»

فَقالَتْ: «لا، سَأُعْطِيكَ قُبْلَةً.» ثُمَّ قَبَّلَتْهُ.

«وَالآنَ فَلْنَدْخُلِ البَيْتَ.»

لَقَدْ كانَ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدًّا داخِلَ بَيْتِ لُوسِنْشِيُو في بادُوَا. كانَتْ هُناكَ وَليمةٌ فاخِرةٌ. وَقَدْ حَضَرَ الثَّلاثةُ الكبارُ: ڤِنْسِينْشِيُو وبابْتِسْتا وَجرِيمْيُو. كَما حَضَرَ بِتْرُوكْيُو وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ كِيت وَهُورْتِنْسِيُو وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ الأَرْمَلةُ، أَمّا لُوسِنْشِيُو وَبِيانْكا فَكانا يَسْتَقْبِلانِ ضُيوفَهُما.

وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَتِ الوَليمةُ ذَهَبَتِ السَّيِّداتُ إلى جَناحٍ آخَرَ في البَيْتِ، وَظَلَّ الرِّجالُ يَحْتَسونَ كُؤُوسَ العَصيرِ مَعًا.

فَنَظَرَ بابْتِسْتا إلى الشُّبّانِ الثَّلاثةِ وَقالَ: «ها أَنْتُمْ أُولاءِ جَميعًا قَدْ تَزَوَّجْتُمْ، وَآمُلُ أَنْ تكونَ حياتُكُمُ الزَّوْجِيَّةُ سَعيدةً. وَلكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا زَوْجاتِكُمْ يُدْرِكْنَ أَنَّ مِنْ واجِبِهِنَّ أَنْ يُطِعْنَكُمْ.» ثُمَّ اتَّجَهَ إلى بِتْرُوكْيُو وَقالَ: «سَوْفَ تكونُ مُهِمَّتُكَ أَنْتَ في غايةِ الصُّعوبةِ. إنَّ زَوْجَتَكَ أَكْثَرُ الثَّلاثةِ شَراسةً.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «أَنا لا أُوافِقُكَ عَلى هذا القَوْلِ. وَلْنَضَعِ الأَمْرَ مَوْضِعَ التَّجْرِبةِ. عَلى كُلِّ واحِدٍ مِنّا أَنْ يُرْسِلَ رِسالةً إلى زَوْجَتِهِ يَأْمُرُها فيها بِأَنْ تَحْضُرَ إِلَيْهِ، وَلْنَتَراهَنْ عَلى ذلِكَ. وَالرَّجُلُ الَّذي يَكْسِبُ الرِّهانَ هُوَ الَّذي تَأْتي إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ أَسْرَعَ مِنَ الأُخْرَيَيْنِ.»

فَاتَّفَقوا عَلى ذلِكَ وَوَعَدَ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنْ يُعْطِيَ الفائِزَ مِائَةَ قِطْعةِ نُقودٍ ذَهَبِيَّةٍ.



بَدَأَ لُوسِنْشِيُو، فَأَرْسَلَ ترانْيُو إلى بِيانْكا قائِلًا: «اُطْلُبْ مِنْها أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ.» وَكانَ يَتَوَقَّعُ الفَوْزَ. وَلكِنَّ ترانْيُو جاءَ بَعْدَ فَتْرَةٍ وَقالَ: «سَيِّدي، لَقَدْ قالَتْ سَيِّدَتي إِنَّها مَشْغولَةٌ وَلَيْسَ في وُسْعِها أَنْ تَأْتِيَ.»

وَجاءَ دَوْرُ هُورْتِنْسِيُو فَأَرْسَلَ خادِمَهُ بِرِسالَتِهِ إلى زَوْجَتِهِ الجَدِيدةِ، وَقالَ لَهُ: «أُرْجُها أَنْ تَأْتِيَ.» وَكانَ الرَّدُّ الَّذي جاءَ بِهِ الخادِمُ: «إِنَّ سَيِّدَتي مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّ رِسالَتَكَ مِنْ قَبيلِ المُزاحِ وَلِهذا فَلَنْ تَأْتِيَ.»

فَقالَ بِتْرُوكْيُو: «لَقَدْ حانَ دَوْري. اذْهَبْ يا جِرُومْيُو وَمُرْ زَوْجَتي بِالحُضورِ إِلَيَّ.»

وَجاءَتْ كِيت مُسْرِعَةً إلى الغُرْفَةِ قائِلَةً: «نَعَمْ، أَيَّةُ خِدْمَةٍ يُمْكِنُني أَنْ أُؤَدِّيَها لَكَ؟»

«أَيْنَ الأُخْرَيانِ؟ أَيْنَ أُخْتُكِ وَزَوْجَةُ هُورْتِنْسِيُو؟»

«إِنَّهُما تَتَحَدَّثانِ بِجِوارِ المِدْفَأَةِ في غُرْفَةِ الجُلوسِ.»

«اِذْهَبي وَأَحْضِريهِما لِزَوْجَيْهِما، وَإِذا رَفَضَتا عامِلِيهِما بِخُشونَةٍ وَأَرْغِميهِما عَلى الحُضورِ.»

فَخَرَجَتْ كِيت وَسَرْعانَ ما عادَتْ وَهِيَ تَجُرُّ وَراءَها بِيانْكا وَزَوْجَةَ هُورْتِنْسِيُو. لَقَدْ كانَتْ تَشْعُرُ بِالاسْتِمْتاعِ بِقِيامِها بِهذا العَمَلِ وَتَبْتَسِمُ في سُرورٍ.

فَضَحِكَ بِتْرُوكْيُو ضِحْكَةً عالِيَةً وَقالَ: «هكَذا تَكونُ الفَتاةُ اللَّطيفَةُ. تَعالَيْ إِلَيَّ يا كِيت وَقَبِّليني.»

فَأَطاعَتْ كِيت في سَعادَةٍ.





© الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان
١٠ أ شارع حسين واصف، ميدان المساحة، الدقي–الجيزة

الطبعة الأولى ١٩٨٩

رقم الإيداع: ١٩٨٩/٢٧٥٠٦
الترقيم الدولي: ٩٧٧-١٤٤٦-١٨-٠ ISBN

رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198303

طبع بمطابع أخبار اليوم

روائع شكسبير

١ — كما تهوى وزوبعة في فنجان

٢ — تاجر البندقية وقصص أخرى

٣ — الليلة الثانية عشرة
وترويض الشرسة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت